# خطب الخليفة أبي بكر رضي الله عنه

جمع ودراسة وتحليل

# شكر وتقدير

أحمد ربي وأشكره على إكمال هذا البحث، وتسهيل صعوباته، وتذليل عقباته، إلى أَنْ أَيْنَعَتْ ثمارُه، وآتى أُكله، فله الحمد والمنّة، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكّلت وإليه أنيب.

ولا يسعُني في هذا المقام إلاّ أن أتوجّه بالشكر والتقدير للدكتور الفاضل/ رمضان بن محمود حسّان، المشرف على هذا البحث على ما تفضَّل به عليّ من صبر ومتابعة لهذا البحث فله مني جزيل الشكر على جليل ما قدَّمه.

كما أشكر كلّ مَنْ ساندني بعلمه ووقته وجهده أو خصَّني بدعوةٍ صادقة أو توجيه أو رأي، أو تشجيع، بأن يجزل الأجر لهم جميعاً وأن ينفعنا بالعلم، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، أفصح العرب أجمعين، وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته، واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنّ الأمة العربية قد بلغت من الفصاحة والبلاغة والبيان ما لم تبلغه أمة من الأمم قبلها أو بعدها، وكان الشعراء والبلغاء فيهم يُعدّون فخراً للقبيلة وعزها ومجدها، وإذا قالوا فقولهم كأنه التنزيل " عند أقوامهم" ،وإذا تكلموا فكلامهم رافع خافض، وبلغ من عز الكلمة وشرفها ومكانتها أن كانت تعلق في جوف الكعبة الذي هو أقدس مكان عندهم وأعز بنيان لديهم ، وكان من أشهر خطباء العرب: قس بن ساعدة الإيادي، وخارجة ابن سنانة خطيب داحس وغبراء، وخويلد الغطفاني خطيب الفجار، والنابغة، وغيرهم كثير، وبُعِث ﷺ في الأمَّة العربية بمعجزة لم يأت بها نبي ولا رسول، وهو الكتاب العزيز، كلام رب العالمين، أعجز الثقلين الإنس والجن ببلاغته إلى يوم القيامة، وصدق الله عز وجل إذ قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾[1]، وكان رسول الله ﷺ أفصح الناس وأبلغهم وأخطبهم، وخطبه ﷺ محفوظة ومدونة.

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

ولقد بلغت الخطابة زمن الخلفاء الراشدين المكانة المرموقة واللائقة بها فكان الخلفاء خطباء يخطبون الناس في الجمع والأعياد والمناسبات ويخطبون في الجيوش ويوجهون القادة.

ويتناول هذا البحث بعضاً من خطب خليفة رسول الله الكريمﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالدراسة والتحليل؛ وذلك لقلّة الدراسات حول هذا الموضوع – على حدود علمي– فقد ركزتْ معظم الدراسات على شخصية أبي بكر الصديق وفتوحاته ، ومواقفه في حروب الردة وغيرها من الأعمال الجليلة التي قام بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

والهدف هو: **إبراز أهمية الخطابة البليغة في توصيل الدعوة، وكانت بلاغة الصديق رضي الله عنه في خطبه، وتأثيرها في السامعين يعدّ نموذجاً؛ ليكون قدوة للخطباء في خطبهم.**

وقد اتّبعت في هذا البحث **المنهج الوصفي التحليلي**، القائم على دراسة النصوص وتحليلها.

واقتضت طبيعة البحث بتقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

**أما التمهيد فيشتمل على مبحثين هما:**

**المبحث الأول**: تعريف علم الخطابة وبيان أنواع الخطبة وخصائص

كل نوع وبيان خصائص خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

**المبحث الثاني**: يشتمل على نبذة مختصرة عن الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وتتضمن اسمه ونسبه ومولده ونشأته وصفاته وأخلاقه وحياته وعلومه ومعارفه وجهاده. ثم وفاته رضي الله عنه .

**الفصل الأول**: خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق الوعظية عرض ودراسة وتحليل .

**الفصل الثاني**: خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق في الفتوحات والجهاد عرض ودراسة وتحليل .

**الفصل الثالث**: خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق التي وصّى فيها الجيوش عند الخروج للجهاد عرض ودراسة وتحليل .

أما **الخاتمة** فتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها ثم المراجع والفهارس ..

سائلاً المولى الجليل أن أوفق في تناول هذا البحث على الوجه المطلوب كما أعتذر عن أي سهو أو خطأ أو نسيان ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

# التمهيد

- **تعريف علم الخطابة وبيان أنواع الخطبة وخصائص كل نوع وبيان خصائص خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه.**
- **ثانياً: نبذة مختصر ة عن الخليفة الراشد أبي بكر الصديق.**

- تعريف علم الخطابة وبيان أنواع الخطب وخصائص كل نوع، وأركان الخطبة، وبيان خصائص خطب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه-.

## أولاً تعريف الخطابة:

**لغة**: من خطب الخاطب على المنبر خَطابة بالفتح، وخُطبة بالضم . وقيل: إن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ونحوه. والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر[(١)].

**واصطلاحاً**: عُرفت الخطابة بتعاريف كثيرة، لا يتباعد بعضها عن بعض ولكن منها ما ليس جامعاً لكل أنواع الخطبة وجزيئياتها، ومنها ما ليس مانعاً من دخول أشياء معها مثل:الوصايا والدروس ، ومن أشهر ما عرفت به الخطابة:

---

(١) انظر لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الفكر (٣٦٠/١)، القاموس المحيط ص: (٨١، معجم تهذيب اللغة، للأزهري، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، (١٠٥٢/١).

١- هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل(١).

٢- هي قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه ؛ والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم معاشاً ومعاداً، كما يفعله الخطباء والوعاظ(٢).

وأوضح وأدق ما عرفت به الخطابة أنها هي: " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والإستمالة"(٣).

وهذا التعريف الأخير يبدو في نظري أنه الأوضح والأكثر دقّة، وعليه مشى أكثر العلماء(٤).

وكما ذكرنا فإن الخطابة هي فن الإقناع والاستمالة مما يعني أنها تتعامل مع العقل والعاطفة مع تركيزها على العاطفة بصورة واضحة.

---

(١) انظر تلخيص الخطابة، تأليف أبي الوليد بن رشد، تحقيق د. محمد سليم، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (١٣٨٧)، ص: ٢٨ .

(٢) انظر التعريفات، للجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان، ص (١٠٤) .

(٣) انظر الخطابة وإعداد الخطيب، أ.د. عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ)، دار الشروق، ص: ١٣، كيف تصبح خطيباً ( الخطابة في موكب الدعوة ) الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة، طبع دار الخير، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ)، بيروت، ص: ٩.

(٤)انظر الخطابة وإعداد الخطيب، ص: ١٣.

كما أنها اتصال في اتجاه واحد يقوم به الخطيب لتوصيل معلومات أو مفاهيم معينة لجمهور المسلمين.

والخطابة هي فن إيصال خبر أو فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو مقنع ومؤثر، وهكذا نجد أن الإقناع والتأثير هما غاية الخطابة ومحورها الرئيس، قال تعالى: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[1]

وفي الحديث الصحيح عن العرباض بن سارية -ﷺ-: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ) يقول الشيخ علي محفوظ – رحمه الله -: " وللخطابة غاية ذات شأن خطير وهي إرشاد الناس إلى الحقائق وحملهم على ما ينفعهم في العاجل والآجل والخطابة معدودة من وسائل السيادة والزعامة، وكانوا يعدونها شرطاً للأمارة فهي تكمل الإنسان وترفعه إلى ذرى المجد والشرف ". ويقول ابن سينا: "وحسبها شرفاً أنها وظيفة قادة الأمم من الأنبياء والمرسلين ومن شاكلهم من العلماء العاملين"[2].

(١) سورة النساء، آية: ٦٣.

(٢)انظر الخطابة، تأليف الشيخ على محفوظ، الطبعة الرابعة، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ص (١٢).

## ثانياً: نشأة الخطابة وتاريخها:

مما لا جدال فيه أنّ العرب في الجاهلية كانت لهم خطب قوية، وقد اعتمدوا عليها في مواقفهم المهمة واستعملوها في مجتمعاتهم ودعواهم للحرب أو السلم فقد ذهب الكثير من هذه الخطب مع الزمن وحفظ لنا التاريخ قليلاً منها كما حفظ أسماء خطباء كانوا مشهورين ولم يبق من خطبهم شيء ذلك لفشوّ الأمية، وبعد الزمن.

وقد كانت أسباب الخطابة متوفرة لعرب الجاهلية، فهم متمتعون بحرية قلما توفرت لغيرهم ولهم مقدرة قوية على الحديث، واللغة العربية ذات نغم يثير المتكلم والسامع ويبعث الخطيب على الاستمرار في حديثه ولهذا كانت لهم مقدرة على الارتجال ومواجهة الموضوع الذي يطرأ من غير أن يكونوا قد أعدوا له حديثاً، ومع ذلك تأتي على لسانهم العبارات البليغة والحكم الصائبة قال الجاحظ: " فما هو إلا أن يصرف العربي همه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني إرسالاً وتنهال عليه الألفاظ انتهالاً " ولا يعني هذا أن خطبهم كانت مرتجلة[1].

(١) انظر البيان والتبين للجاحظ، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م، ص: ٣٥.

## ثالثاً: أنواع الخطب وخصائصها:

### ١/ الوعظية:

هي الخطبة التي تتم في دور العبادة، وتتعلق بالعقيدة والإيمان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يرتبط بأمور الدين وما يصلح الناس في أمر دينهم وآخرتهم .

هذه الخطبة تجنح إلى تقرير أصول العقيدة الإسلامية وبيان ما في الرسالة من جمال وسعادة ونفع واستقرار وهناء واستقامة بالترغيب والترهيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أمثلتها: خطبة الجمعة، العيدين، والاستسقاء.

وللوعظ والإرشاد مصادر وينابيع صافة لا ينبغي للخطيب أن يخرج عنها، ألا وهي القرآن العظيم، وسنة خير المرسلين عليه الصلاة والسلام، ثم أفكار وأقوال ذوي النفوس العالية التي لا تخرج عن القرآن والسنة من سلف هذه الأمة أو ممن خلفهم بإحسان . وبقدر ما يكون اقتراب المعنى الإرشادي من القرن والسنة بقدر ما يقود نفوذه إلى القلوب، وتأثيره في النفوس(١).

(١)انظر الخطابة للشيخ علي محفوظ، ص: ٨٧.

**٢/ السياسية:**

وهذه الخطبة تجنح إلى التركيز على سياسة الدولة، تقريراً أو نقداً ببيان ما يجب أن تكون الحكومة عليه بإدارتها لجميع جوانب الحياة المختلفة، ومن أمثلتها: خطب الزعماء المنتخبين، خطب أعضاء المجالس النيابية والشورية.

ولأسلوب الخطبة السياسية خصائص من أبرزها ما يلي:

١- أنها تعتمد على الخيال لإثارة العاطفة .

٢- تنوع أساليبها الرائعة من شدة إلى لين، ومن جد إلى هزل، ومن إخبار إلى استفهام .

٣- اللباقة في التعبير، بحيث تؤدي الجملة ما يريد السياسي وما يدور في خلده .

٤- الاستشهاد بنصوص القوانين، والمعاهدات، وتصريحات الساسة، إذا عرض الخطيب لنصر سياسي ذي صلة بالقانون(١).

**ومن أبرز الصفات التي يجب تتوفر في الخطيب السياسي ما يلي:**

١- أن يكون ذا دراية تامة بالقوانين الدولية، والحقوق الشخصية، والمدنية، ملمّاً بأسرار الدولة الداخلية والخارجية، وأحوالها المادية والأدبية.

(١)انظر فن الخطابة، ص (٧٠-٧١) بتصرف يسير.

٢-أن يكون مخلصاً في محبة وطنه، بريئاً من كل أنانية وغرض شخصي، فلا يرى إلا حياة الأمة، ولا يعمل إلا للخير المحض .

٣- أن يكون حر الضمير، فلا يملكه لأحد مستقلاً في رأيه لا مقلداً فيه لغيره.

٤-أن يكون شجاعاً، ذا عارضة، ولسن، بعيداً عن الغضب، ليستطيع أن يقوم في وجه معارضيه ويلزمهم الحجة .

**٣/ القضائية:**

وهي التي تلقى غالباً في المحاكم والدوائر القانونية والقضائية، ويتولاها الخصوم أو من ينوب عنهم من المحامين والنواب، ومن أمثلتها: خطب المحامين في المحاكم.

**٤/ المحفلية:**

وهي التي تقوم في المحافل العامة وتجنح إلى التكريم أو التهنئة أو التعزية أو علاج قضية معينة ومن أمثلتها: حفلات تكريم الطلاب أو افتتاح المشروعات.

ومن أغراضها المدح، أو الشكر، أو التهنئة والتكريم، أو التأبين، أو علاج مشكلة أو معضلة اجتماعية .. ومن أبر خصائصها العامة أنها في

جملتها واضحة الأفكار، سهلة التعبير، رقيقة، معتمدة على الوسائل الخطابية وبعض المنطق[1].

**٥/ العسكرية:**

وهي التي تكون في الميادين ويلقيها غالباً الجيوش أو الأمراء، يرغّبون الجند في القتال والاستبسال ويبينون لهم كرامة الشهداء ونزلهم أو يستشيرونهم استقراراً لرغبتهم وتوجيهاتهم.

ولينجح الخطيب في هذا الخطب لابد له فيها من أمور أربعة وهي:

١-بيان شرف الغرض الذي من أجله يحاربون، ويتقدمون ببسالة إلى مواطن الردى في ساحات الوغى، حيث تخطب الأرض بالدماء .

٢-بيان الأثر الحسن والعاقبة المحمودة لمن يتقدم لهذا البلاء برباط جأش، وقوة جنان، فإما انتصار وعزة وفخار، وإما شهادة، وجنات عدن، وزلفى من الله ورضوان .

٣- أن يبغض إلى جنده العدو، ويملأ قلوبهم حنقاً عليه، ببيان جوره، وظلمه وطمعه في الاستعمار، وحبه للسيادة على الشعوب بلا مسوّغ.

(١) انظر فن الخطابة، ص (٨٩).

٤- إقدام الخطيب وتقدمه الصفوف يوم اللقاء والزّحف، فلا يأمر بالقتال ويحضّ عليه ويبخل بدمه، بل يجود بنفسه ليكون له منهم القدوة الحسنة[١].

## ٦/ الخطب العلمية:

وهي خطب تلقى على منابر العلم والبحث، وتمتاز بما يلي:

١/ أنها كلام علمي صناعة وبحثاً، وتركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الأذهان.

٢/ أن مستمعيها أقل عدداً، وأوسع ثقافة من مستمعي أنواع الخطب الأخرى .

٣/ أن عنصر الإقناع التدليل فيها هو الطابع الذي يسودها لأنها لا تخاطب الجماهير، ولا تستميل العواطف، ولا تستنزل الدموع، وإنما تخاطب العقول وتناقش وتجادل بالحجة ولكن ينبغي أن تخلو من التأنق العباري، والبلاغة الدقيقة هي التي توائم الدقة العلمية، والجمال في الصياغة والأسلوب، بما لا يؤثر على ما فيها من حقائق علمية[٢].

---

(١) انظر الخطابة للشيخ على محفوظ، ص (٧٣ ـ ٧٤ )، جولات في فن الخطابة ص (٤٣ـ٤٤) بتصرف منهما.

(٢) انظر الخطابة للشيخ على محفوظ، ص (٦٠ )، الخطب والمواعظ ص (١٠٤) .

## **رابعاً**: **أركان الخطبة**:

للخطبة أربعة أركان هي:

١-أن تفتح بالتحميد، وأقله الحمد لله وكان ﷺ يقول في بداية خطبته " الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ".

٢-الصلاة على النبي بلفظه الذي ذكره الله تعالى بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[(١)].

٣-الوصية بتقوى الله تعالى، وأقلها اتقوا الله .

٤- قراءة شيء من القرآن الكريم ولو آية [(٢)].

فإذا قال الخطيب ( الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد: فأوصيكم بتقوى الله وطاعته وأحذركم عن عطيته ومخالفته قال تعالى

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦ .

(٢)محاضرات في الخطابة، ص: ١١٧ ـ ١١٩.

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾(١). ثم يجلس ويقول بعد الثناء والصلاة على النبي ﷺ أما بعد: فاتقوا الله وأتمروا بأمره وانتهوا عن ما نهاكم عنه يعفر الله لنا ولكم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(٢)، كانت الخطبة مستوفية الأركان والشروط.

## خامساً: خصائص خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

تكلم أبو بكر الصديق في أهم ما كان يهم الأمة في زمانه لذلك جاءت خطبه موزّعة بين الآتي:

١- الخطب الوعظية وهي التي يهتم فيها بتذكير الناس ووعظهم كما حدث في خطبته بعد وفاة النبي ﷺ.

٢- الخطب المتعلقة بالحث على الجهاد والفتوحات الإسلامية .

٣- خطب توصية الجنود وتذكيرهم بطاعة أمرائهم و تحفيزهم على الجهاد.

ومن أهم خصائص خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

١-استدعاؤه الأساليب المؤثرة .

---

(١) سورة الزلزلة، الآية:٧ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

٢- كثرة استشهاده بالقرآن والسنة، مثل قوله حين كما كان يخاطب الأنصار ويقنعهم بفضل المهاجرين على الأنصار حينما قال: أيها الناس، نحن المهاجرين، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً .... وقدمنا القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾[1].

٣- استعماله وسائل الإقناع المختلفة كالتهديد مثل قوله: (ألا إن لي شيطانا يعتريني..) . وأسلوب التحذير من الموت وعواقبه مثل قوله : (احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان..).

* * *

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠ .

## نبذة مختصرة عن الخليفة الراشد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

**اسمه ونسبه:** هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي[١]، يلتقي مع رسول الله في مرة بن كعب .

واسم أبي قحافة: عثمان.

وأمه: أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة، وهي ابنة قحافة[٢].

ويلتقي نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب بن لؤي . يكنى والده بأبي قحافة وكان الصديق يسمى في الجاهلية عتيقاً . وذكر الطبري من طريق ابن لهيعة: أن أولاد أبي قحافة ثلاثة هم: عتيق (أبو بكر)، ومعتق، وعُتَيق (مصغراً) [٣].

**صفاته:** كان رجلاً نحيفاً، خفيف اللحم أبيض، وقالت عائشة رضي الله عنها في وصفه: رجل أبيض، نحيف، خفيف العارضين، أقنى، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، وكان يخضب لحيته

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (١٤٤،١٤٥/٤).
(٢) محمد رضا، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، مؤسسة الريان، ص: ٧.
(٣) تاريخ الطبري، ( ٤٥/٣ ).

بالحناء والكتم . هذه صفة خلقه.

أمّا خلقه رضي الله عنه فقد كان كريماً، شجاعاً، ثابتاً، ذا رأي سديد في المواقف العظام، سمحاً، صبوراً، قوي العزيمة، فقيهاً، عالماً بالأنساب والأخبار، شديد التوكل على الله والثقة بوعده، ورعاً متباعداً عن الشبهات، زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله، إلفاً مؤلفاً رضي الله عنه وأرضاه[١].

## إسلامه:

أخرج الترمذي وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال أبو بكر: ألست أحق الناس بها؟ أي الخلافة، ألست أول من أسلم؟ ألست صاحب كذا؟ ألست صاحب كذا ؟[٢].

وقال ابن عساكر من طريق الحارث عن علي رضي الله عنه، قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر .

وأخرج ابن أبي خثيمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع النبي ﷺ أبو بكر الصديق[٣].

(١) الخلفاء الراشدون من كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، رتبه وهذبه وخرج نصوصه وضبط أعلامه محمد صامل السلمي، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مدار الوطن للنشر ـ الرياض، ص: ٢١- ٢٢ .

(٢)الترمذي وابن حبان عن أبي سعيد .

(٣) ابن أبي خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم .

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال: سألت ميمون بن مهران، قلت: عليّ أفضل عندك أم أبي بكر وعمر ؟ قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال: ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما، لله درهما ! كان رأس الإسلام . قلت: فأبو بكر كان أول إسلاماً أم علي ؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرى الراهب حين مر به[١]، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنحكها إياه، وذلك كله قبل أن يولد عليّ، وقد قال: إنه أول من أسلم خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه . وقيل: أول من أسلم عليّ، وقيل خديجة . وجمع بين الأقوال بأن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، وعليّ أول من أسلم من الصبيان، وخديجة أول من أسلمت من النساء، وأول من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رحمه الله[٢].

لقد كان إسلام الصديق بعد بحث وتنقيب وقد ساعده على تلبية دعوة الإسلام معرفته العميقة وصلته القوية بالنبي ﷺ في الجاهلية، فعندما نزل الوحي على النبي ﷺ أخذ يدعو الأفراد إلى الله وقع أول اختياره على الصديق رضي الله عنه، فهو صاحبه الذي يعرفه قبل البعثة بدماثة خلقه، وكريم سجاياه، كما يعرف أبو بكر الصديق بصدقه وأمانته، وأخلاقه التي

(١) أبو نعيم عن فرات بن السائب .

(٢) انظر تاريخ الخلفاء، للإمام جلال الدين السيوطي، ص: ٢٩ـ٣٠ حققه قاسم الرفاعي، محمد العثمان، دار الأرقم.

تمنعه من الكذب على الناس فكيف يكذب على الله[١].

فلما دعاه الرسول ﷺ لم يتردد في قبول الدعوة وبذلك كان الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال الأحرار، قال إبراهيم النخعي، وحسان بن ثابت وابن عباس وأسماء بنت أبي بكر: أول من أسلم أبي بكر، وقال يوسف بن يعقوب الماجشون: أدركت أبي ومشيختنا: محمد بن المنكدر، وربيعة بن عبد الرحمن، وصالح بن كيسان وسعد بن إبراهيم وعثمان بن محمد الأخنس وهم لا يشكون أن أول القوم إسلاماً أبي بكر[٢].

قال النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت: استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضي الله عنه في الحديث الثابت في الصحيحين: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه[٣].

واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعلم الصحابة، لأنهم كلهم وقفوا على فهم الحكم في المسألة إلا هو ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه .

(١) انظر تاريخ الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين، ص: ٤٤ .
(٢) صفة الصفوة (٢٣٧/١) .
(٣) البخاري ومسلم في صحيحهما.

وروينا عن ابن عمر أنه سئل: من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ما أعلم غيرهما .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال تبارك وتعالى خَير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى، فبكى أبو بكر وقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أين يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله: إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذ خليلاً غير ربي لاتخذت أبابكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين باب إلا سد إلا باب أبي بكر".

هذا كلام النووي(١).

## دعوته:

أسلم الصديق رضي الله عنه وحمل الدعوة مع رسول الله ﷺ، وتعلم من رسول اللهﷺ إن الإسلام دين العمل والدعوة والجهاد، وأن الإيمان لا يكمل حتى يهب المسلم نفسه لله رب العالمين، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٣٥.

﴿ ١٦٣ ﴾[(١)].

وقد كان الصديق كثير الحركة للدعوة الجديدة، وكثير البركة أينما تحرك أثر وحقق مكاسب عظيمة للإسلام. وقد كان نموذجاً حياً في تطبيقه لقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥ ﴾[(٢)].

كان تحرك الصديق رضي الله عنه في الدعوة إلى الله يوضح صورة من صور الإيمان بهذا الدين والاستجابة لله ورسوله صورة المؤمن الذي لا يقر له قرار، ولا يهدأ له بال حتى يحقق في دنيا الناس ما آمن به دون أن تكون انطلاقته دفعة عاطفية مؤقتة سرعان ما تخمد وتزول، وقد بقى نشاط أبي بكر وحماسه للإسلام إلى أن توفاه الله عز وجل لم يفتر أو يضعف أو يمل أو يعجز [(٣)].

كانت أول ثمار الصديق الدعوية دخول صفوة من خيرة الخلق في الإسلام وهم: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مضعون، وأبو عبيدة بن الجراح،

(١) سورة الأنعام، الآيات: ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥ .
(٣) انظر الوحي وتبليغ الرسالة، د. يحي اليحيي، ص: ٦٢ .

وعبد الرحمن بن عوف، أبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن الأرقم رضي الله عنهم،وجاء بهؤلاء الصحابة الكرام فرادى فأسلموا بين يدي رسول الله ﷺ، فكانوا الدعامات الأولى التي قام عليها صرح الدعوة، وكانوا العدة الأولى في تقوية جانب رسول الله ﷺ وبهم أعزه الله وأيده وتتابع الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، رجالاً ونساءً، وكان كل من هؤلاء الطلائع داعية إلى الإسلام، وأقبل معهم رعيل السابقين، الواحد والاثنان، والجماعة القليلة، فكانوا على قلة عددهم كتيبة الدعوة، وحصن الرسالة لم يسبقهم سابق ولا يلحق بهم لاحق في تاريخ الإسلام[1].

واهتم الصديق بأسرته فأسلمت أسماء وعائشة وعبد الله وزوجته أم رومان وخادمه عامر بن فهيرة، لقد كانت الصفات الحميدة والخلال العظيمة والأخلاق الكريمة التي تجسدت في شخصية الصديق عاملاً مؤثراً في الناس عند دعوتهم للإسلام، فقد كان رصيده الخلقي ضخماً في قومه وكبيراً في عشيرته، فقد كان رجلاً، مؤلفاً لقومه، محبباً لهم، سهلاً، أنسب قريش لقريش بل كان فرد زمانه في هذا الفن، وكان رئيساً مكرماً سخياً يبذل المال، وكانت له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد، وكان رجلاً بليغاً[2].

---

(١) انظر: محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون (٥٣٣/١).
(٢) انظر السيرة الحلبية (١/ ٤٤٢ ).

إن هذه الأخلاق والصفات الحميدة لابد منها للدعاة إلى الله وإلا أصبحت دعوتهم للناس صيحة في واد، ونفخة في رماد، وسيرة الصديق وهي تفسر لنا فهمه للإسلام وكيف عاش به في حياة حريّ بالدعاة أن يتأسوا بها في دعوة الأفراد إلى الله تعالى[(١)].

## فضله:

الأحاديث الدالة فضله كثيرة نذكر منها:

عن عمرو بن العاص: أن النبي عليه الصلاة والسلام بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة " فقلت: من الرجال فقال: " أبوها"، فقلت: ثم من ؟ قال: " ثم عمر بن الخطاب "، فعد رجالاً رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: " من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة "، فقال أبو بكر: إنّ أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال رسول الله ﷺ: " إنك لست تصنع ذلك خيلاء ". رواه البخاري .

---

(١) انظر: أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، د. على محمد الصلابي، دار القبلتين الرياض، دار اليقين، المنصور، ص: ٣٦.

وعن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة، رواه مسلم .

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحه، والزبير، فتحركت الصخرة فقال النبي عليه الصلاة و السلام: اهدأ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد . رواه مسلم .

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر. رواه الترمذي[1].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه للصلاة، فقال (مروا أبا بكر أن يصلي بالناس )، فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم مقامك لم يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: (مروا أبا بكر يصلي بالناس) . فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه من يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. قال: (إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبا بكر يصلى بالناس ) [2].

(١) انظر أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا، ص: ١١ .

(٢) انظر الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة، جمع ودراسة د. سعود عيد عمير الصاعدي، الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ، ١٥٠ ـ ١٥١ .

## علمه:

كان الصديق من أعلم الناس بالله وأخوفهم له[١]، وقد اتفق أهل السنة على أن أبا بكر أعلم الأمة، وحكى الإجماع على ذلك غير واحد، وسبب تقدمه على كل الصحابة في العلم والفضل ملازمته للنبي ﷺ، فقد كان أدوم اجتماعاً به ليلاً ونهاراً، وسفراً وحضراً، وكان يسمر عند النبي ﷺ بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، دون غيره من أصحابه، وكان إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأي من يخالفه[٢]، وقد استعمله النبي ﷺ على أول حجة حجت من مدينة النبي ﷺ وعلم المناسك أدق ما في العبادات، ولولا سعة علمه لم يستعمله، وكذلك الصلاة استخلفها عليها ولو لا علمه لم يستخلفه ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة، وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله أخذه أنس من أبي بكر وهو أصح ما روى فيها[٣] وعليه اعتمد الفقهاء وغيره في كتابة ما هو متقدم منسوخ، فدل على أنه أعلم بالسنة الناسخة، ولم يحفظ له قول يخالف فيه نصاً، وهذا يدل على غاية البراعة والعلم، وفي الجلة لا يعرف لأبي بكر مسألة في الشريعة

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ٥٩.
(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص:٥٩ .
(٣) البخاري رقم ١٤٤٨ .

غلط فيها، وقد عرف لغيره مسائل كثيرة[١]، وكان ﷺ يقضي ويفتي بحضرة النبي ﷺ ويقره، ولم تكن هذه المرتبة لغيره وقد بينت ذلك في سلب أبي قتادة بحنين، وقد ظهر فضل علمه وتقدمه على غيره بعد وفاة الرسول ﷺ، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو يعلم يبينه لهم وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة، وذلك لكمال علم الصديق وعدله، ومعرفته بالأدلة التي تزيل النزاع، وكان إذا أمرهم أطاعوه . كما بين لهم موت النبي ﷺ وتثبيتهم على الإيمان ثم بين لهم موضع دفنه، وبين لهم ميراثه، وبين لهم قتال مانعي الزكاة لما استراب فيه عمر، وبين لهم أن الخلافة في قريش، وتجهيز جيش أسامة، وبين لهم أن عبداً خيره الله بين الدنيا والآخرة هو رسول الله ﷺ وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه بإذن الله تعالى .

ولقد رأى رسول الله ﷺ له رؤيا تدل على علمه، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ( رأيت كأني أعطيت عساً مملوءاً لبناً، فشربت منه حتى تملأت فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر). قالوا: يا رسول الله، هذا علم أعطاكه الله حتى تملأت منه، فضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر، فقال ﷺ: (قد أصبتم) [٢].

(١) أبو بكر الصديق أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة، ص ٦٠ .
(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٦٩/١٥).

وكان الصديقﷺ يرى أن الرؤيا حق، وكان يجيد تأويلها وكان يقول أذا أصبح ﷺ: من رأى رؤيا صالحة فليحدثنا بها وكان يقول: لأن يرى رجل مسلم مسبغ الوضوء رؤيا صالحة أحب إلى من كذا وكذا[1]، ومما عبره ﷺ من الرؤى ما يلي: عن ابن عباس ﷺ أن رجلاً أتي رسول الله فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرسل الناس يتكففون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ رجل آخر فانقطع، ثم وصل، فقال أبو بكر: يا رسول الله، بأبي أنت، والله لتدعني فأعبرها . فقال النبي ﷺ (أعبر). قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن فالقرآن، حلاوته تنطف فالمستكثر من القرآن، والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه، تأخذ به فيعليك الله، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ رجل آخر فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله، بأبي أنت، أصبت أم أخطأت ؟ قال النبي ﷺ: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً قال: فو الله لتحدثني بالذي أخطأ . قال (لا تقسم) . وعن عائشة رضي الله عنها أنها رأت كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار، فقصتها على أبي بكر- وكان من أعبر الناس فقال: إن صدقت رؤياك ليدفنن في بيتك من خير أهل الأرض ثلاثة . فلما قبض النبي ﷺ قال يا عائشة هذا خير أقمارك، فقد كان

(١) خطب أبي بكر الصديق، محمد عاشور، جمال الكومي، ص:١٥٥ .

الصديق ﷺ أعبر الأمة بعد نبيها[١].

ومع كونه ﷺ من أعلم الصحابة إلا أنه من أبعد الناس عن التكلف، فعن إبراهيم النخعي قال: قرأ أبوبكر الصديق: ( وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ )[٢]، فقيل :ما الأبّ؟: فقيل كذا وكذا، فقال أبو بكر: إن هذا لهو التكلف، أي أرض تقلني وأي سماء إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[٣].

## خلافة أبى بكر الصديق:

تمت البيعة لأبى بكر -رضي الله عنه-، ونجح المسلمون: الأنصار والمهاجرون في أول امتحان لهم بعد وفاة الرسول، لقد احترموا مبدأ الشورى، وتمسكوا بالمبادئ الإسلامية، فقادوا سفينتهم إلى شاطئ الأمان. وها هو ذا خليفتهم يقف بينهم ليعلن عن منهجه، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: "أيها الناس، إنى قد وليت عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى (ردونى عن الإساءة)، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى آخذ له حقه، والقويّ ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى، لا يدع أحد منكم الجهاد، فإنه لا يدعه

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٢٩ .

(٢) سورة عبس، الآية: ٣١

(٣) انظر أبي بكر الصديق شخصيته وعصره، لمحمد علي الصلابي، ص: ١١٣ ـ ١١٥ .

قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله".

كان الإسلام في عهد النبي قد بدأ ينتشر بعد السَّنة السادسة للهجرة، وبعد هزيمة هوازن وثقيف بدأت الوفود تَرِد إلى الرسول معلنة إسلامها، وكان ذلك في العام التاسع[١].

## جهاد أبي بكر:

لقد دخل الناس في دين الله أفواجًا، وقلَّ عدد المشركين الذين يعبدون الأصنام، وطهرت الجزيرة العربية من الشرك، لكن بعض الذين دخلوا في الإسلام كان منهم ضعاف الإيمان، ولم يكن الإيمان قد استقر في قلوبهم، وقد دخله بعضهم طمعًا في الأراضي والأموال. وكانت وفاة الرسول فرصة لهؤلاء وأولئك لكي يظهروا ما أخفوه خلال الفترة الماضية، ولكي يعلنوا ردتهم عن الدين الحنيف، فماذا يفعل الصديق، والخلافة في أول عهدها ؟! إن هناك جماعة منعت الزكاة، وأخرى ارتدت، بل ادعى بعض الناس منهم النبوة[٢].

(١) انظر تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: ١١٣ بتصرف .
(٢)انظر أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، محمد رضا، ص: ٣٦ .

## إنفاذ بعث أسامة:

لقد كان على أبى بكر -رضى الله عنه- أن يواجه هؤلاء جميعًا. وليس هذا فقط بل كان عليه أن يؤمِّن حدود الدولة الإسلامية ضد الأعداء الخارجيين، وكان الرسول ( قد أعدَّ لذلك جيشًا بقيادة أسامة بن زيد، ولكنه توفي قبل أن يبرح الجيش المدينة، وظل أسامة بجيشه على حدود المدينة ينتظر الأوامر.

وراح الجميع يفكرون في مواجهة أعداء الأمة الإسلامية الوليدة! وكان رأى بعض المسلمين أن توجه كل الجهود إلى محاربة المرتدين، وأن يؤجل إنفاذ جيش أسامة لمحاربة الروم إلى ما بعد القضاء على المرتدين، وأن يتفرغ أبو بكر لذلك، ولكن أبا بكر وقف شامخًا راسخًا، يؤكد العزم على قتالهم جميعًا في كل الجبهات، قائلا عن مانعى الزكاة: "والله لو منعونى عِقَال بعير (ما يربط به البعير) كانوا يؤدونه إلى رسول الله  لقاتلتهم عليه" [متفق عليه] ولقد أصر أن يتم بعث أسامة قائلا: "والله لو ظننت أن السباع تخطفنى لأنفذت بعث أسامة كما أمر الرسول"[(١)].

## حملات عسكرية:

وأعد أبو بكر -رضى الله عنه- إحدى عشرة حملة عسكرية، كان من أشهرها: حملة خالد بن الوليد، وحملة العلاء بن الحضرمى.

---

(١) انظر البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج٣، ص ١٢٥ .

## جيش العلاء بن الحضرمى:

كان ملك البحرين، قد أسلم في عهد الرسول، وأقام في رعيته الإسلام والعدل، وعندما مات رسول الله ومات ملك البحرين، ارتد أهل البحرين، وقال قائلهم: لو كان محمد نبيّا ما مات.وبقيت بالبحرين قرية يقال لها جُوَاثا ثابتة على دينها، فقد قام فيها رجل من أشرافهم وهو الجارود بن المعلى، وكان ممن هاجروا إلى رسول الله، فقال: يا معشر عبد القيس إنى سائلكم عن أمر فأخبرونى إن علمتموه. قالوا: سَلْ. قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم. قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فإن محمدًا مات كما ماتوا، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فقالوا: ونحن أيضًا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وثبتوا على إسلامهم[1].

وأرسل أبي بكر العلاء بن الحضرمى أحد كبار الصحابة إلى حرب المرتدين من أهل البحرين، وكان العلاء على معرفة بأحوال هذه البلاد لأن الرسول كان قد أرسله ليجمع الزكاة من أهلها.وحدث في هذه الغزوة أن نزل العلاء منزلا فلم يستقر الناس على الأرض حتى نفرت الإبل بما عليها من زاد الجيش وخيامهم وشرابهم، وبقوا على الأرض ليس معهم شىء سوى ثيابهم، وذلك ليلا، ولم يقدروا منها على بعير واحد، فأصاب الناس همٌّ

(١) البداية والنهاية، ص ١٤٥ .

عظيم وجعل يوصى بعضهم إلى بعض، فنادى منادى العلاء، فاجتمع الناس إليه، فقال: أيها الناس، ألستم المسلمين؟ ألستم في سبيل الله؟ ألستم أنصار الله؟ قالوا: بلى. قال: فأبشروا والله لا يخذل الله مَنْ كان في مثل حالكم. ونودى لصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلى بالناس، ثم جثا على ركبتيه، وجثا الناس، واستمر في الدعاء حتى طلعت الشمس، وجعل الناس ينظرون إلى سراب الشمس يلمع مرة بعد مرة وهو يجتهد في الدعاء، فوجدوا إلى جانبهم غديرا عظيمًا من الماء(١).

فمشى ومشى الناس إليه فشربوا واغتسلوا، فما انتهى النهار حتى أقبلت الإبل من كل مكان بما عليها لم يفقدوا شيئًا من أمتعتهم. والتقى جيش العلاء بالمرتدين فهزموهم، وفروا منهم في البحر إلى "دارين"، فتبعهم المسلمون، لكنهم عندما وصلوا إلى ساحل البحر ليركبوا، وجدوا أن المسافة بعيدة،ولو انتظروا حتى يجهزوا المراكب التى سوف يعبرون عليها، لتمكن الأعداء من الهروب، فاقتحم العلاء البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، ويا أحد يا صمد، يا حى يا محيي، يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك، ففعلوا وعبر بهم الخليج بإذن الله، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوه وهزمهم، وأخذوا غنائمهم وأموالهم. ولم يفقد المسلمون في البحر شيئًا سوى عليقة

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص: ٧٩ وما بعدها بتصرف .

فرس. وكان مع الجيش راهب من أهل هجر، فأسلم وقال: خشيت إن لم أفعل أن يمحقنى الله لما شاهدت من الآيات، ولقد علمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله، فحسن إسلامه.

لقد خرج المؤمنون خالصة نواياهم، غايتهم العزة لدين الله العظيم، من أجل ذلك أمدهم الله بكراماته، وأيدهم بنصره. لقد هزت هذه الجيوش الجزيرة العربية هزّا عنيفًا، وأعادت المارقين والخارجين إلى حظيرة الإيمان من جديد؛ ليعرفوا أن الله هو الحق المبين، وأن رسوله هو خاتم النبيين، وإذا كان محمد قد مات، فإن دين الإسلام الذي جاء به باق إلى يوم القيامة بإذن الله.

وكان جيش أسامة الذي أرسله أبي بكر لمحاربة الروم قد حقق الهدف الذي بعث من أجله، فَأَمَّنَ الحدود، وأعاد الثقة إلى النفوس. وعرف الروم أن الدولة الإسلامية مازالت قوية، لم تضعف، وفي استطاعتها أن تصد كيد الأعداء. وفي وقت بعث أسامة، كان بعض مانعى الزكاة قد جاءوا إلى أبى بكر، فلما رأوا تصميمه على أخذ الزكاة، رجعوا إلى قبائلهم وأغروهم بالقضاء على الإسلام، والاستيلاء على المدينة، وكان أبوبكر قد وضع بعض الصحابة على أنقاب المدينة؛ لأنه توقَّع إغارتهم، وعندما اتجهوا بالفعل إلى المدينة، وعرف أبي بكر أوصى الواقفين على الأنقاب بالصبر، ثم اتجه هو وبعض الصحابة، إليهم ولقنوا هؤلاء المرتدين درسًا لا يُنسى، حتى يعلموهم

وغيرهم أن الدولة الإسلامية لم تضعف بعد وفاة النبي ﷺ.

كما عمل أبو بكر -رضى الله عنه- على القضاء على كل من تسول له نفسه أن يطعن في دين الله، كأولئك الذين ادعوا النبوة أمثال الأسود العنسى وسجاح التى أسلمت فيما بعد، ومسيلمة الكذاب الذى أرسل إليه أبي بكر جيشًا هزمه شر هزيمة في وقعة اليمامة، حيث قتل الله الكذاب بعد ما استشهد كثير من الصحابة وخاصة بعض حملة القرآن منهم(١).

## فتوحات أبى بكر:

انتهت حروب الردة، وتم القضاء على كل من ادعى النبوة كالأسود العنسى، ومسيلمة الكذاب، وسجاح. ورجع الهدوء والاستقرار إلى الجزيرة العربية. وبدأت أنظار المسلمين تتجه ناحية حدود دولتهم، فالفرس يقفون في وجه الدعوة الإسلامية، ويساندون أعداءها. والروم يحاربون الدعوة وينصرون خصومها(٢).

## أبو بكر والفرس:

بدأت عداوة الفرس للمسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلّم، عندما أمر ملك الفرس عامله على اليمن أن يرسل من عنده رجلا ليقتل رسول الله أو يأسره بعدما أرسل له النبى ﷺ من يدعوه إلى الإسلام ولكن الله

(١) الكامل في التاريخ (٢٧٩/٣ ) .

(٢)أبو بكر الصديق أول الخلفاء، محمد رضا، ص: ٨٣ .

أهلك ملك الفرس عندما ثار عليه قومه وحفظ رسوله (حتى مات. وعندما ارتدت العرب ظن الفرس أن العرب المرتدين سيقضون على الإسلام في مهده، ولكن الله خَيَّبَ ظنهم، فعادوا يكيدون للإسلام، فما كان من أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- إلا أن بعث إليهم خالد بن الوليد، وتحرك الجيش بقيادته نحو العراق، ونزل الحيرة فدعا أهلها إلى الإسلام، أو الجزية، أو الحرب. ولهم أن يختاروا الموقف الذى يناسبهم، فلا إكراه في الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين! والإسلام أحب إلى كل مسلم من الجزية أو الحرب. وقبل أهل الحيرة أن يدفعوا للمسلمين الجزية ويعيشوا في أمان وسلام، وكانت هذه أول جزية تؤخذ من الفرس في الإسلام.

وسار خالد بجيشه إلى الأنبار، فهزم أهلها حتى نزلوا على شروطه، وقبلوا دفع الجزية أيضًا. ثم اتجه إلى "عين التمر"، ومنها إلى "دومة الجندل"، وفتحهما عنوة وقهرًا بعد أن رفض أهلها الإسلام والجزية وأعلنوا الحرب! فعاد البطل الفاتح منتصرًا بعد أن أَمَّنَ حدود الدولة الإسلامية الناشئة من ناحية الفرس[1].

---

(١)أبو بكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره، ص: ٩٦.

## مواجهة الروم:

لكن خطر الروم ما زال يهدد الدولة الإسلامية !! فهذا هرقل إمبراطور الروم قد جمع قواته على حدود فلسطين؛ وحرض العرب المجاورين له على معاداة المسلمين ليوقف المد الإسلامى والزحف المبارك، ولكن كلمة الله لابد أن تكون هى العليا، وكلمة الذين كفروا هى السفلى! لابد أن يزيل أبي بكر -رضى الله عنه- كل العوائق التى تقف في طريق الدعوة الإسلامية، وتتربص بها، تريد القضاء عليها! ودعا أبي بكر المجاهدين لحرب الروم في الشام، وأعلن التعبئة العامة ليلقن كل الذين يفكرون في العدوان على الإسلام والمسلمين درسًا لا ينسى، وتحركت الجيوش من "المدينة المنورة" وبتشكيل أربع فرق يقودها قواد عباقرة عظام.

كان على رأس الأولى: "عمرو بن العاص" ووِجْهَتُه "فلسطين".

وكان على رأس الثانية "يزيد بن أبى سفيان" ووجهته دمشق.

وكان على رأس الثالثة "الوليد بن عقبة" ووجهته "وادى الأردن".

أما الرابعة فكان على رأسها "أبو عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح" ووجهته "حمص"(١).

(١) الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، المكتبة العصرية، بير وت، ص: ٨٣ .

## اليرموك:

لما انتهى أبي بكر الصديق من القضاء على فتنة المرتدين، قرر مواجهة القوتين العظميين آنذاك، وفكر في مواجهة إحداهما، وبعث عددًا من الجند لمناورة القوى الأخرى، حتى لا تكون هناك فرصة لهما أن يجتمعا ضد المسلمين. وكان الفرس قد عرفوا بعدائهم الشديد للإسلام، وقد ظهر هذا من خلال بعض الأعمال، كمساندتهم للمرتدين، وإمداد كل من ادعى النبوة في الجزيرة العربية، بل حاولوا القضاء على الإسلام، ولذا، فقد استجاب أبي بكر لطلب المثنى بن حارثة للتحرش بالفرس، بل أمر أبي بكر خالد بن الوليد أن يساعد المثنى، وذلك بالإرسال إليه بعد انتهاء خالد من حرب أهل العراق، وشعر الفرس بقوة المسلمين بعد الذى صنعه خالد ببعض الأراضى التى كانوا يحتلونها. أما القوى الرومية، فقد بعث أبي بكر خالد بن سعيد بن العاص يرابط بقواته قرب مناطق يسيطر عليها الروم والقبائل العربية التى تعتنق النصرانية وتحالف الروم، ثم أرسل أبي بكر الجيوش بقوادها الأربعة إلى بلاد الشام، وقد أدرك الروم ما يرمى إليه خليفة المسلمين، فاستعدوا لحرب آتية لابد منها مع المسلمين، بل نقل هرقل مقر القيادة إلى حمص ليكون أقرب من ميدان القتال، ولما رأى المسلمون ذلك، طلبوا من أبى بكر أن يرسل إليهم بالمدد، فأرسل أبي بكر إلى خالد بن الوليد أن يتحرك بمن معه في نجد إلى الشام، ولاسيما أن الفرس في حالة من

الضعف، ورحل خالد بمن معه إلى الشام، حيث جرت معركة اليرموك بين المسلمين والروم، واحتشدت القوات للمواجهة، وقبل البدء في القتال كان أبي بكر قد توفي ورحل إلى الرفيق الأعلى وتولى مكانه عمر، ولكن الجيش الإسلامى لم يكن يعلم بذلك، وتجهز جيش المسلمين للقاء الروم.

## هيكلة الجيش:

استعد جيش المسلمين للقاء، فكان على ميمنة الجيش إلى الشمال عمرو بن العاص، وعلى الميسرة من الجنوب قرب نهر اليرموك يزيد بن أبى سفيان بن حرب، وكان أبو عبيدة بن الجراح بينهما. وخرج المسلمون على راياتهم، فكان على راية الميمنة معاذ بن جبل –رضى الله عنه–، وعلى راية الميسرة نفاثة بن أسامة الكنانى، وعلى الرجّالة هاشم بن عتبة بن أبى العاص، وعلى الخيّالة خالد بن الوليد، وهو المشير في الحرب الذى يصدر الناس كلهم عن رأيه، ولما أقبلت الروم بأعدادها وعتادها وقد سدت الأفق، ورهبانهم يتلون الأناجيل يباركون صفهم. وأثناء ذلك، تحرك خالد بن الوليد إلى أبى عبيدة، وقال له: إنى مشير بأمر. فقال أبو عبيدة: قل ما أمرك الله أسمع لك وأطيع. فقال خالد: إن هؤلاء القوم لابد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها، وإنى أخشى على الميمنة والميسرة، وقد رأيت أن أفرق الخيل فرقتين، وأجعلها وراء الميمنة والميسرة حتى إذا صدوهم كانوا لهم ردءًا،

فنأتيهم من ورائهم، وجعل قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، وأمر أبا عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله، حتى إذا فر أحد رآه، فيستحى منه، ورجع يقاتل مرة ثانية، فجعل أبو عبيدة مكانه في القلب سعيد ابن زيد بن عمرو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم عمر، وزوج أخته، وساق خالد النساء وراء الجيش، ومعهن عدد من السيوف، وقال لهن: من رأيتنه هاربًا، فاقتلنه. ثم رجع إلى موقفه من الجيش(١).

## إنجازاته:

كان عهد أبي بكر امتدادًا لعصر النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكن إلا متبعًا ومنفذًا لكل ما أشار به الرسول صلى الله عليه وسلم أو أمر به، لم يبتدع أبو بكر –رضى الله عنه– شيئًا يخالف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل كان كل شىء يسير وفقًا لشريعة الإسلام، وانشغل الناس في فترة خلافته بقتال المرتدين والفتوحات الإسلامية. ولم يبق في المدينة إلا من استبقاهم أبي بكر لحمايتها، ولاستشارتهم ولتبادل الرأى معهم، وعلى رأس هؤلاء: عمر بن الخطاب، وعلى بن أبى طالب، وطلحة ابن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص. وكانت المدينة المنورة في عهده عاصمة الدولة الإسلامية ومركز الحكم ومقر الخلافة.

---

(١) البداية والنهاية، ص ١٤٥ .

قسم أبو بكر الجزيرة العربية إلى ولايات جعل على كل منها أميرًا، يؤم الناس في الصلاة، ويفصل بينهم في القضايا، ويقيم الحدود؛ فكان على "مكة" عتاب بن أسيد، وعلى صنعاء المهاجر بن أمية، وعلى عمان والبحرين العلاء بن الحضرمى.

وقد اتخذ الصديق عمر قاضيًا على المدينة، وجعل أبا عبيدة أمينًا على بيت مال المسلمين. ولقد كانت فترة حكمه قصيرة، لكنها كانت حاسمة في تاريخ الإسلام، فقد واجه أحرج المواقف، وربما وقف وحده عند إصراره على محاربة المرتدين في وقت اتجه فيه باقي المسلمين إلى المسالمة، قائلين: كيف نحارب الجزيرة العربية كلها؟! لكنه بإيمانه ويقينه وصدقه سرعان ما ضم المسلمين إلى رأيه، ثم سار بهم جميعًا يدكّ صروح الشرك، ويقضى على الشكوك والأوهام. ولم يتوقف عند هذا، بل راح يحطم قصور كسرى وقيصر. رحم الله أبا بكر لقد تمثلت فيه كل المعانى الإسلامية الرائعة(١).

## جمع المصحف:

استشهد كثير من حفظة القرآن وقرائه في حروب الردة، وهنا أشار عمر -رضى الله عنه- على أبي بكر بضرورة جمع القرآن الكريم ؛ حيث كان مكتوبًا على سعف النخيل، وقطع الجلد، وألواح عظام الإبل، فأمر أبي بكر

(١) البداية والنهاية، ص ١٤٥ .

زيد بن ثابت ومعه بعض أصحابه بتولي هذه المهمة العظيمة. وقاموا بتدوين القرآن كله في دقة متناهية بالترتيب الذي أمر به رسول الله  ودون أي تغيير، وسموه مصحفًا.

إن القرآن هو دستور المسلمين، وقد تعهد الله بحفظه، وكان أبي بكر أول من أسهم في هذا الحفظ رحمه الله[1].

## وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة . وقال لها: في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت: يوم الإثنين، قال: فأي يوم هذا ؟ قالت: يوم الإثنين . قال: أرجو فيما بيني وبين الليل. فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه، به ردع زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما. قلت: إن هذا خلق . قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت، إنما هو للمهملة . فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح ) ولابن سعد من طريق الزهري عن عروة عن عائشة ( أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من

(١)أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، ص: ٨١ .

جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة ) وروى ابن أبي شيبة وغيره ( أن عمر صلى على أبي بكر في المسجد وأن صهيباً صلى على عمر في المسجد ) قال البخاري: ( ودفن أبو بكر رضي الله عنه ليلاً ) [(١)].

* * *

(١) تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، ص: ٦٥ بتصرف يسير.

# الفصل الأول

## خطب أبي بكر الصديق الوعظية

عرض ودراسة وتحليل

# الفصل الأول
# خطب أبي بكر الصديق الوعظية
عرض ودراسة وتحليل

## ١- خطبته يوم قبض الرسول ﷺ:

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مسجى بثوب، فكشف عنه الثوب، وقال: "بأبي أنت وأمي ! طبت حيًّاً، وطبتَ ميتاً ! وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوَّة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء،...إلخ". ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم، وعظيم سكراتهم، فخطب خطبة قال فيها:

(**أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، واشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأنَّ الحديث كما حَدَّث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين..** في كلام طويل، **ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإنَّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وأنَّ الله قد تقدَّم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإنَّ الله قد اختار لنبيه ما عنده على**

**ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابهُ، وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينها أنكر. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾[١]، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم، فعالجوه بالذي تُعجزُونه، ولا تستنظروه فَيَلحق بكم)** [٢].

مناسبة الخطبة وهو الحدث الجلل الذي يعدّ صدمة قوية وفاجعة مؤلمة للصحابة رضي الله عنهم، لأنهم أصيبوا بمن هو أعزّ عليهم من أنفسهم ووالديهم والناس أجمعين، حتى إن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- المعروف بشجاعته وقوة إيمانه، كاد يفقد صوابه، وتوعد كل من يقول إن رسول الله ﷺ قد مات، وكان مما قال في هذا الوقت[٣]: "إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفي، وإن رسول الله والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات".

---

(١) سورة النساء، من الآية: ١٣٥.

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، لأحمد زكي صفوت: ٦٦/١، المكتبة العلمية بيروت، لبنان ط١٣٥٢/١هـ=١٩٢٣م.

(٣)تاريخ الطبري ٢٠٠/٣.

وقد راعى أبو بكر رضي الله عنه هذه الحالة النفسية الشديدة، وما أصاب الناس من ذهول بفقد الحبيب، قام فيهم خطيباً، فاستحوذ على انتباههم وجذب عقولهم وأسماعهم، لأنه يتحدث عن مناسبة خطيرة، وما عساه أن يقول في هذا، فاستهلّ خطبته بكلمة الشهادة لله ولرسوله، قائلاً: (**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله**)، هذه جملة عظيمة، من أقوى أساليب التأثير، لأنها نبع الإيمان، وكلمة التوحيد، فبدأ الناس يعودون إلى رشدهم وإيمانهم، لأنها الكلمات التي عليها يحيون وعليها يموتون، وقد وُفِّق أبو بكر رضي الله عنه في اختيار هذه الألفاظ التي افتتح بها موضوع الخطبة، والتي تحمل معاني ذات دلالات عميقة، يستقرّ نورها في القلب ويشع في الجوارح والأركان.

وبجانب ذلك نجد أساليب التوكيد المختلفة المتتالية في أُولى كلماته، تثير الانفعال وتوقظ الشعور، وكأنّ الحياة بدأت تدبّ في الناس من جديد رويداً رويداً، فاستخدم أداة التوكيد (إنّ) في مقطع واحد أكثر من سبع مرات، بل كل جملة كانت مصدَّرة بالتأكيد! قال رضي الله عنه: (**أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله. وأشهد أن الكتاب كما نزل. وأن الدين كما شرع. وأنَّ الحديث كما حَدَّث. وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين..**).

إضافة إلى ما توحيه هذه اللفظة (أشهد)، بتجديد الاعتقاد، وتجديد الإيمان وتثبيته، لأنّها جملة فعليّة، ومن طبيعة الجمل الفعلية أنها تفيد التجديد والحدوث، وهكذا الإيمان يتجدد، يزيد وينقص. وغير ذلك من الألفاظ الواضحة الرقيقة المناسبة للأسى والألم والحرقة التي في القلوب، (الدِّين. الحديث. القول. الحق. المبين) ألفاظ تربط بالنبي الأمين.

وبعد أن شعر بأن النفوس قد أخذت في الهدوء والاعتدال، وعادت إلى ثوابها وإيمانها، بسبب الأسلوب المؤثر الذي فاتحهم به، تدرج بهم إلى فكرة أخرى وهي صميم الحدث، لأنه أصبح لديهم استعداد ليقبلوا بالأمر الواقع، فلفت انتباههم بأداة النداء فقال: (**يا أيها الناس!**)، وياء النداء من الأساليب الإنشائية التي تثير الانتباه، حيث يؤتى بها لتنبيه المنادى ليسمع ما يلقى إليه بعد النداء من الكلام ليعمل بمقتضاه... " [١].

إضافة إلى ما يتضمنه من التشويق، لأن النداء "يهيِّئ المنادى وينبهه فيصغي بعناية وتشوق إلى ما يوجه إليه بعد النداء، ويترقبه ويتطلع إلى معرفته والإحاطة به، فهو طريق من طرق التشويق إلى المعنى" [٢].

وحتماً فإنّ المعنى إذا ورد بعد هذا التشويق والتنبيه للسامعين تمكَّن في النفوس، ووقر في القلوب، واستقر في الوجدان، فتبادر إلى حسن استقباله

(١) ينظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: ٣٣٣.
(٢) التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه: ٣١.

وامتثاله والاستجابة له. وقد أكد ذلك بعض الباحثين بقوله: "إن افتتاح الكلام بالنداء يدل على الاعتناء بما سيلقى على المخاطب، وكأنه يعدّ نفسه ويهيئها لذلك، فيقع منها موقع الإصابة، حيث تتلقاه بحسٍّ واعٍ وذهنٍ منتبه"(١).

والمعنى الذي يريد الخليفة إيصاله إلى الناس هو في غاية الأهمية، هو وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما يجب أن يكونوا عليه، فقال: (**أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإنَّ محمدّاً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وأنَّ الله قد تقدَّم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإنَّ الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلف فيكم كتابهُ، وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينها أنكر**).

تَصَرَّف رضي الله عنه في فنون القول لتوضيح هذا المعنى، فكان لكلامه قوة وجزالة، فاستخدم أداة الشرط (مَنْ)، التي تفيد العموم، فعلى الكلّ أن يعلم أن المعبود هو الله سبحانه وتعالى، وأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما جاء إلا لتحقيق هذا الهدف، وقد بلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمَّة، ثم توفاه الله. ومن كان يعبد الله فإن الله لا يموت، فاستقيموا

(١) نداء الله نبيَّه الكريم في آي الذكر الحكيم: ٢٢٥، ٢٥٦ / د. بدر ناصر البدر، بحث ضمن مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض، العدد: ٦١، ١٤٢١هـ.

واثبتوا على المحجة البيضاء التي ترككم عليهم الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

ومن بلاغته أيضاً: تكراره للفظ (محمد) مرتين في جملة واحدة، وكان يكفي أن يعيد ضميره في المرة الثانية، فيقول: (فإنه قد مات)، لكنه أعاد الاسم في قوله: (فإن محمداً قد مات)، وهذا ما يسميه البلاغيون: الإظهار في موضع الإضمار، والغرض البلاغي منه: زيادة تمكين المعنى لدى السامع، لأنه يترقب أن يؤتى بالضمير فإذا به يفاجأ بإعادة الاسم مرة ثانية فيؤثر ذلك في النفس تأثيراً بليغاً، كما أن في الإظهار موضع الإضمار من الفخامة والتعظيم ما ليس في الضمير(١). ومثل هذا في العبارة التالية (**ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**).

استطاع رضي الله عنه أن يقرّر هذا المعنى (وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم) في القلوب، بمختلف الأساليب، ثم أعقبه بما ينبغي أن يعلموه، وهو أن اختيار الله لنبيه الرفيق الأعلى هو الأفضل لنبيكم، ولكن لم يترككم هملاً، وإنما ترك فيكم القرآن والسنة، اللذَيْن إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، وهو الحبل الذي بينكم وبينه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر)، وبهذا وصل المعنى إلى قرارة القلب، وانشرحت له النفوس، وعادت

(١) ينظر: شروح التلخيص: ١/: ٤٥٦- ٤٥٧. مجموعة خمسة كتب بلاغية، للقزويني، والتفتازاني، والمغربي، والسبكي، والدسوقي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

المياه إلى مجاريها، وكلٌّ يحمد الله على أمر الله.

ثم ختم كلامه بعبارات موجزة قوية التأثير، بأساليب خبرية مؤكدة بنون التوكيد الثقيلة، مضيفاً إليها نصّاً مقتبساً من كتاب الله، يوصي فيها المسلمين بأن ينتبهوا لمداخل الشيطان، فيلهيهم بهذا الحدث فيفتنهم عن دينهم، فقال: (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾، **ولا يشغلنَّكم الشيطان بموت نبيكم، ولا يفتننكم عن دينكم، فعالجوه بالذي تُعجزُونه، ولا تستنظروه فَيَلحق بكم**).

وقد أحسن -رضي الله عنه- في اختياره لهذه الجمل الخبرية التي تفيد تجدد الأمور، فإن الشيطان لا يفتأ أن يبحث عن مواطن ضعف المسلم، فيبعده عن ذكر ربه، ولكنه لا يستطيع أن يستمرّ في ذلك وإنما يجدد كيده كلما وجد طريقاً[(١)]، ولهذا ناسب أن تكون الجمل خبرية، وبما أنّ الشيطان حريص على ضلال المسلم جاء تأكيد الفعل بنون التوكيد (لا يشغلنَّكم) (لا يفتننَّكم).

وبهذا تبيَّن أن هذه الخطبة كانت من الخطب الوعظية؛ لوقوعها في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولارتباطها بأمور الدين، وتصحيح العقيدة والإيمان، والتمسك بالكتاب والسنة. وامتازت بمراعاتها

(١)انظر أدب صدر الإسلام، تجلياته وبناؤه التشكيلي، للدكتور المجيد الإسداوي، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية، ص: ٢٧١ ـ ٢٧٢.

مقتضى الحال، وارتباطها بالقرآن الكريم، واستخدام أساليب الإقناع وطرق التأثير، والإيحاءات البلاغية، وحسن اختيار الألفاظ، مما يدلّ على بلاغة الصديق رضي الله عنه في خطبته التاريخية في هذه المناسبة.

* * *

## ٢- خطبة أبي بكر الصديق يوم السقيفة:

السقيفة: ظلة كانت بالقرب من دار سعد بن عبادة سيد الأوس والخزرج اجتمع فيها أصحاب رسول الله بعد وفاته، يريدون انتخاب خليفة لرسول الله منهم، وكانوا يؤثرون بالخلافة سعد بن عبادة. وخطبهم سعد مبيناً ما للأنصار من الفضل والسبق إلى حماية رسول الله وأنه لا ينبغي أن ينازعهم أحد في هذا الأمر، فرد عليه الأنصار جميعاً أوسهم وخزرجهم: أصبت ووفقت، ثم أخذوا يتشاورن ويقول بعضهم لبعض: فإن أَبَى ذلك المهاجرون من قريش، وقالوا: نحن عشيرته وأولياؤه فماذا نقول لهم ؟، فاجتمعوا على أن يردوا بقولهم: منا أمير ومنكم أمير وأن نرضى بدون هذا، فقال سعد لما سمعها: هذا أول الوهن.

بلغ نبأ هذا الاجتماع كبار الصحابة جاؤوا إلى السقيفة وبعد ذلك حصل نقاش طويل وخطب متبادلة، وتم ختم هذا الاجتماع بأخذ البيعة لأبي بكر خليفة على المسلمين.

فقال في خطبته:

**(أيها الناس نحن المهاجرين أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثرهم ولادة في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فنحن**

**المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤه في الفيء وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله)** (١).

إذا نظرنا إلى خطب أبي بكر الصديق ومن تبعه من الخلفاء الراشدين وجدناهم يقتدون في خطابتهم، فهم لا يستخدمون السجع فيها، كما قال د. شوقي ضيف، ثم أردف قائلاً: "وهم يفتتحونها بحمد الله وتمجيده والصلاة على رسوله ويوشونها بآيات من القرآن الكريم وببعض أحاديث نبيه العظيم، مستمدين من هذين الينبوعين الغزيرين في وعظهم وما يسوقونه من وصايا وتعاليم. وكان الصديق في الذروة من البلاغة ومن البيان والفصاحة"(٢). كلامه رحمه الله سديد، إلا أن قوله لا يستخدمون السجع في خطبهم، قد يكون هذا من باب الغالب، لأنّ بعض الخطب التي تمرّ معنا فيها شيء من السجع ظاهر، والسجع له قيمة بلاغية إذا طابقت مقامها، ولذلك اختلف البلاغيون في وجود السجع في القرآن؛ عندما رأوا فواصل آياته وجمالها، فبعضهم قال إن هذا من السجع، وبعضهم قال لا

(١) انظر العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق / عبد القادر شاهين، ج١، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، لبنان، ص:١٢٨.

(٢) انظر الفن ومذاهبه في النثر العربي، لشوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥، ص: ٥٨.

سجع في القرآن، ولست في موضع مناقشة هذه القضية، وإنما أردت أن أشير إلى أن السجع له خصائصه التعبيرية، وقد ورد في بعض خطب الصديق رضي الله عنه.

**وفي هذه الخطبة نجد أن:**

شخصية القائل، وعظمة المناسبة، يحملان لهذا النص خطراً وجلالاً فوق خطره الأدبي وجلاله البياني.

إن هذا الموقف الرهيب لم يحل بين أبي بكر الصديق، وبين الجهر بالرأي، والنطق بالحق، وإصابة سواء المفصل، وإقناع المسلمين بالحجة والبرهان.

بعد وفاة الرسول الأعظم كان الخلاف حول خلاف رسول الله شديداً فالأنصار مع ما بينهم من خصومات جاهلية يريدونها لأنفسهم، والمهاجرون مع ورعهم وسابقتهم في الدين ونأيهم عن طلب شيء من الدنيا، يريدونها لهم، ولكنهم لا يرونها لأنها وظيفة دنيوية، بل إنها منصب ديني، يتمكن منه الذي يليه من إعزاز راية الإسلام ونشر مبادئ العقيدة الإسلامية.

وفي هذا الموقف يُمتحَن أبو بكر امتحاناً شديداً، كل كلمة محسوبة عليه وكل حرف دليل لإدانة أو تهمة، ويتبين في هذا الموقف عظمة أبي بكر وجلالته وبُعْد فراسته. إنه لم يطعن على أحد، ولم يعب أحداً، ولم يطلب لنفسه شيئاً فماذا قال؟

حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله.

ثم بين فضل المهاجرين وسابقتهم في الإسلام، واستعدادهم لتحمل أعباء السيادة وتكاليف الشرف، مع ما لهم من مجد وحسب وما يتصفون به من سماحة وجود وأريحية ومن كثرة عدد، ومن شدة قرب الرسول الأعظم بالنسب، ومع ما لهم كذلك من شرف تليد ومفاخر قديمة تقرّ بها العرب، ثم أصاب المحزّ بالاستدلال بالقرآن الكريم حيث قدمهم في الذكر على إخوانهم الأنصار.

ثم عاد إلى الأنصار، فوصفهم بالأخوة في الدين وبالشركاء في الغنيمة وليس هنا وصف أبلغ من وصفه لهم بالأخوة، وقد عادل في وصفهم لهم بين الأخوة في الدين والشركة في المال، أي في الدنيا، تمام المعادلة وأبلغها، ثم كرر وصفه لهم بأنهم أنصار إخوانهم المهاجرين على الأعداء.. وذكر فضلهم بقوله: أويتم وواسيتم، أي أويتم من لا وطن له وهم المهاجرون، وواسيتموهم في المحنة والشدائد والخطوب حين عز النصير، ثم دعا الله بأن يتولى الله جزاءهم الحسن.

ثم عاد بعد كل ذلك إلى تقرير الأمر، وتوضيح الرأي، وحل المشكلة بأن يكون من المهاجرين الخليفة، ومن الأنصار وزراؤه وأعوانه، وعلل ذلك تعليلاً سياسياً بعيد النظرة، وهو أن العرب لا تخضع ولا تدين بالطاعة إلا لقريش، فخصص الخلافة بأنها يجب أن تكون من بين المهاجرين في قريش،

وليس أحد يستطيع أن ينافس قريشاً في المجد والشرف في العرب قاطبة.. وحث بعد ذلك الأنصار على قبول هذا الحكم، ناهياً إياهم أن يحسدوا إخوانهم المهاجرين على ما منحهم الله من فضله.

وبذلك استقام الرأي، واتضح وجه الصواب، وبانت السبيل، دون أن يسب أبو بكر أحداً، أو يطعن على قبيل، أو يطلب لنفسه شيئاً، وما أبلغ ما كرر أبو بكر من وصف الأنصار بأنهم إخوان المهاجرين، فالمسألة إذن لم تتجاوز حسد الخلافة بين أسرة واحدة، وأشقاء أصفياء، وما أبلغ ما استدل به أبو بكر من القرآن الكريم، وما أكده من أن تولى أحد من الأنصار للأمر بعد رسول الله سوف يكون له نتائجه بين العرب، وقد اعتادوا أن يقبلوا رياسة غير قريش.

إن يوم السقيفة هو يوم البيعة لخليفة رسول الله.. وقد اتسم هذا اليوم بمظهر ديمقراطي سليم، فكبار الصحابة وأعلام الإسلام، كلهم اشتركوا في الرأي وانتهوا إلى أن الخلافة يجب أن تستقر في المهاجرين دون الأنصار، وفي قريش خاصة من بين المهاجرين، والأنصار لهم من ذلك منزلة الوزراء من الأمراء.

ومن خلال التأمل في هذا النص تتجلى بعض القيم الأدبية ومن أبرزها ما يلي:

هذه الخطابة تمثل في إيجازها ووضوحها وصدقها وبساطة أسلوبها وجلال مغزاها وروحها، البلاغة في أسمى منازلها، والفصاحة في أعلى قممها. فوصف أبو بكر المهاجرين بالسابقة في الإسلام وصفاً أصاب به المحز، وما أروع ما وصفهم به من كرم الأحساب، وما أروع الكناية عن السيادة (وأوسطهم داراً )، والكناية على السماحة بقوله (وأحسنهم وجوهاً)، والكناية عن القوة بقوله (وأكثرهم ولادة في العرب) لأن الكثرة دليل القوة عند العقل.

ووَصْفُه الأنصار بأنهم إخوان المهاجرين في الدين وشركاؤهم في الغنائم وأنصارهم على الأعداء وصفٌ دقيق رائع بليغ، وما أبلغ وصفه لهم بقوله: (أويتم) أي أضفتم المهاجرين الخارجين من وطنهم ومالهم، وقبلتم أن ينزلوا في حمايتكم وفي دياركم وأموالكم.

ثم بقوله: ( واسيتم ) والمواساة: المشاركة في المحنة والشدة، وهذا هو من موجز اللفظ وبليغه ودقيقه، وحقاً كان كذلك الأنصار بالنسبة للمهاجرين.

وانظروا فوق ذلك إلى صحة الألفاظ واستقامة الأساليب وبلاغتها، وقوة المنطق، وصدق الحجة، وإلى ترتيب الأفكار وتنسيق الحجج، وإلى إصابة المحزّ، وبلوغ الهدف. إن كل ذلك من خصائص بلاغة هذا النص الشريف ومن تأثير الإسلام والقرآن في الأدب والأدباء. وروح النص وجوّهُ

والتأثيرات المختلفة فيه ترشد إلى الإسلام والقرآن في بلاغته مما لا داعي إلى الكلام فيه[١].

* * *

(١) انظر الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ص: ١٣١ ـ ١٣٤.

## ٣- خطبته بعد البيعة:

بعد وفاة الرسول اجتمع الأنصار وبعض المهاجرين في سقيفة بني ساعدة؛ لاختيار خليفة للمسلمين وانتهى الاجتماع على اختيار أبي بكر الصديق خليفة للمسلمين، وتمت البيعة له تحت تلك السقيفة، ثم اجتمع المسلمون في المسجد النبوي الشريف فألقى فيهم هذه الخطبة الموجزة وهي أوّل خُطبة ألقاها أبو بكر -رضي الله عنه- بعد تولّيه الخلافة وهي على اختصارها تضع أعظم أساس للعلاقة بين الحاكم والرعيّة[١].

قال -رضي الله عنه- بعد حمد الله والثناء عليه:

**(أيُّها النَّاس، فإنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فإنْ رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القويّ حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم)**[٢].

قيلت هذه الخطبة في مناسبة عظيمة وهي تولِّي الخلافة، وهي مقام كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يتولاه، فكان الرسول -صلى الله عليه وسلم-

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، ج١، ص: ١٢٩، دراسة وتحقيق عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) جمهرة خطب العرب، ص: ٦٧.

أفصح الناس، وأتقاهم لله، وهو سند المؤمنين بعد الله، يرجعون إليه في جميع شئون حياتهم، وغير ذلك من المهام، فمن يقوم هذا المقام فلابد له من أن يعدّ العدّة له، ولذا كان أول ما يواجهه الخليفة الصديق -رضي الله عنه- التركيز على الخطبة التي تقال في مثل هذا الموطن، خطبة تتصف بالإيجاز غير المخل، واختيار الألفاظ الدالة على المراد، مع العمق في معانيها، واستخدام وسائل التأثير والإقناع، وإثارة العاطفة، وحسن التآلف بين الكلمات، وتنوع الأساليب البلاغية التي تكون مطابقة لمقتضى الحال، مع مراعاة نفسية السامعين، وهم يرون خليفة يتولى شئون أمورهم بعد شخصية عظيمة لا تطاولها نجوم السماء، ولا ترقى مقامها حتى الأنبياء، لكنّ أبا بكر رضي الله عنه كان موفَّقاً في كلّ هذا، فاستهلّ خطبته أولاً بالمقدمة الدِّينية التي اشتملت على حمد الله وثنائه، والصلاة والسلام على رسوله، ثمّ افتتح موضوع الخطبة بأداة التنبيه المحذوفة لفظاً، وأبقى المنادى؛ ليكون الإيجاز ظاهراً في أول وهلة، فقال: (أيها الناس)، ولم يقل (يا أيها الناس)، لكي يلامس المعنى شغاف القلوب مباشرة دون انتظار، مع التأثير الذي أثاره في السامعين بواسطة مناداة الناس، وهم الشعب وأهل عصره، والذين هم رعيّته، وقد مر معنا قريباً أنّ من شأن النداء إيقاظ المشاعر، والتنبيه والاستعداد على ما سيلقى وبخاصة أنه لا ينتظر منهم أن يلبوا نداءه، وهذا من مضمار البلاغة؛ ففيه خروج الكلام على خلاف ظاهره، لأن الظاهر

من ياء النداء هو طلب إقبال المنادى ليلبي النداء، ومخالفة ذلك يكون لأمر بلاغي، وهو ما أشرت إليه.

وبعد أن جذب انتباه الحضور ألقى عليهم المعنى في أسلوب التوكيد بإنّ مضافة إلى نفسه (إني) دلالة على أن الأمر منبعث من قلبه، وأنه موقن به، والخطيب إذا كان مؤمناً مقتنعاً بما يقول يكون لكلامه أثرٌ بالغٌ في القلوب، لأن ما خرج من القلب يقع في القلب، فلفظ (إني) لها وقع جميل في هذا المقام مع إثارتها العواطف، وملامستها قلوب الخطيب وسامعيه، ثم يأتي خبر إنّ حاملاً معنى الولاية ومقام النبوة، فقال: (**وُلِّيت عليكم**)، فحذف الفاعل؛ إيجازٌ عميق الدلالة، لأن الولاية كانت في الحقيقة من الله، وما كان من أمر الله فلابد للمسلم من قبوله برضاً، وأن أمر الله فيه كلّ الخير، وأن الله سيكون معه، ويوفقه ولا يخذله، ثم عطف جملة أخرى بواو العطف وهو ما يعرف بالوصل في المصطلح البلاغي، (ولست بخيركم) لاشتراك الجملتين في الحكم، أي حكم خبر إنّ، فكما أنه أكّد أن الولاية من الله، فيؤكد أيضاً أنها ليست مقياساً على أنه أفضل منهم وأشرف، وهذا التواضع يأسر اللب ويلهب العاطفة ويثير المشاعر، وهكذا الشأن في المجتمعات، فمن تواضع لله رفعه الله، وأن الناس ترتاح لمن يتصف بهذه الصفات.

وهذه الجملة القصيرة: (**أَيُّها النَّاس، فإِنِّي قَدْ وُلِّيت عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ**) التي بدأ بها الموضوع – وحدها كافية لتحدث في النفس أفعالها،

فقابل الناس الخليفة الصديق بكل اطمئنان، وبكل حنان وتقدير وتبجيل.

تفنن فيها في أساليب التعبير من توكيد، وأسلوب خبري، وحذف المسند إليه؛ مع مراعاة باب الوصل والفصل.

ثم استأنف جملة أخرى فيها مضمون آخر وهو المنهج الذي يسلكه مع الرعية، ورسمه لهم بعبارات يستشفُّ منها التقدير لأتباعه، وأن الأمر مشترك بينه وبينهم؛ لأنه منهم، وفيهم، وكلّ واحد منهم يمكن أن يحلّ محلّه، ولكن كان قدر الله أن يكون هو الخليفة، وإذ كان الأمر كذلك، (**فإنْ رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم**).

ذكر في هذا النص أمران، بهما قوام خلافته عليهم، وهما: النصح والإرشاد، والسمع والطاعة في المعروف.

وهذه المعاني صيغت في أساليب متنوعة؛ لكي ترسخ في الأذهان وتتقرر في النفوس؛ لأنه إذا طبّق ذلك سارت الأمور على ما يرام، ومن هذه الأساليب أساليب الشرط بإنْ، ولم يختر أداة الشرط (إذا)، وإن كان يمكن أن يؤدَّى المعنى بإذا، وهذا من دقة استخدام الخليفة الصديق لأدوات العربية وما فيها من أسرار ولطائف، لأنّ الأداة (إنْ) تستعمل في الشيء القليل النادر، بعكس (إذا) التي تكون للشيء المقطوع به، قال الخطيب القزويني: "إنْ وإذا، فهما للشرط في الاستقبال لكنهما يفترقان في شيء وهو أن

الأصل في (إنْ) لا يكون الشرط فيهما مقطوعاً بوقوعه كما تقول لصاحبك: إن تكرمني أكرمك، وأنت لا تقطع بأنه يكرمك، والأصل في (إذا) أن يكون الشرط فيها مقطوعا بوقوعه كما تقول: إذا زالت الشمس آتيك ولذلك كان الحكم النادر موقعا لإنْ النادر غير مقطوع به في غالب الأمر..." (١).

فقوله رضي الله عنه-: (**فإِنْ رأيتموني على حق فأعينوني**) فيقتضي ظاهر الأمر أن يعبِّر بـ(إذا)؛ لأنها تناسب القطع بوقوع الشرط بأنّ أغلب ما يقوم به هو الحقّ والصواب. ولكنه عبَّر بإنْ؛ لإفادة صفة التواضع التي كانت بين بُرْدَيه رضي الله عنه، أمَّا قوله (**وإن رأيتموني على باطل فسددوني**) جاءت على ظاهرها؛ لأنه لا مقتضى للعدول عن هذا الظاهر، وهذا من الدلائل على بلاغة أبي بكر رضي الله عنه. وقد عطف على الجملة السابقة بالواو؛ لأنهما يشتركان في الأسلوب الخبري. وبجانب ذلك نلاحظ الجرس اللفظي الذي توحي به الكلمات في أجزاء الجمل، (عليكم. بخيركم. أعينوني. رأيتموني. فسددوني. أطيعوني.)، مع بعض أساليب السجع الواردة فيها (**فإِنْ رأيتموني على حق فأعينوني. وإن رأيتموني على باطل فسددوني**). فهذه النغمات المتآلفة والمنسجمة في هذه العبارات تعدّ من الأساليب الجيدة التي تبرهن على قوة الخطابة، وتحقيق مآربها وأهدافها.

(١)الإيضاح: ٨٨/١.

ثم انتقل إلى الفقرة الأخيرة من الموضوع صدّرها بأساليب التوكيد المختلفة فقال: (**ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القويّ حتى آخذ الحق منه**).

والالتجاء إلى مثل هذه الأساليب تفيد إثارة الانفعال وتوقظ الحس، وتفيد القرب النفسي بين الخطيب ومستمعيه، فهو الخليفة العادل، لا يعرف القوي ولا الضعيف، فالكل عنده سواسية كأسنان المشط، وأنه يسلك سبيل الحزم في رد الحقوق لأصحابها، لا يخاف في الحق لومة لائم[١].

ويلاحظ أنه -رضي الله عنه- استخدم أداة التنبيه (ألاَ) لجذب الانتباه على أمر مهمّ وهو مبدأ العدل والمساواة، ومعلوم أنه إذا وقعت هذه الأداة في صدارة الجمل، أفادت أغراضاً عدَّةً[٢]، منها التنبيه كما في هذه الخطبة، ووقوع أداة التأكيد بعدها أضاف إليها توكيداً آخر، لذا قال أهل البلاغة: إنَّ حروف التنبيه من مؤكدات الحكم والإسناد[٣]. وقال الدكتور بسيوني فيود: إنّ هذه الأداة مما يُهَيَّأ به المخاطب وينبَّه لتلقي المعاني المهمة، حيث يؤتى بها تنبيهاً للمخاطَب من غفلته وإيقاظاً لمشاعره وتهيئة لحواسه لكي يصغى إلى ما يأتي بعدها من معان مهمة ويلتفت إليها, فتثبت تلك

(١)انظر الكامل في اللغة والأدب، ابن المبرد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩١م، ج١، ص: ٢٣. وأبو بكر الصديق شخصيته وعصره، الصلابي ص:١٦١ ـ١٦٢.

(٢) انظر الأزهية في علم الحروف: ١٧٢، ومغنى اللبيب: ٩٥.

(٣) انظر: عروس الأفراح (( ضمن شروح التلخيص )): ٢٢١/١، والمطوَّل: ٤٧.

المعاني لديه وتقرّ بداخله، ويقوى حرصه على امتثالها وإجابتها" [(١)].

ثم ختم رضي الله عنه خطبته بالدعاء لنفسه وللسامعين، وكان لذلك تأثير قوي في نفوسهم، لأنه أشعرهم بمحبة الخير لهم، كما يحب لنفسه، فقال: (**أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم**).

قد امتازت هذه الخطبة بالإيجاز لتناسب المقام، مع أساليب بلاغية متنوعة توصل المعنى المراد بعمق في نفوس المخاطبين، مع وسائل إثارة الانفعال وإيقاظ الشعور، وربط الخطيب عاطفته بعاطفتهم باستخدامه ضمائر المتكلم وضمائر المخاطب، فهي خطبة في غاية المتانة والقوة والإيجاز، حتى قال عمر بن الخطاب ﷺ: " لم أر أقل منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى"[(٢)].

* * *

(١) التشويق في الحديث النبوي (( طرقه و أغراضه )): ٦٥.

(٢)انظر الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، نايف معروف، دار النفائس، بيروت، ص: ٤٤.

## ٤- خطبة أخرى له بعد البيعة:

قال الطبري: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفي رسول الله ﷺ ليُتم بعث أسامة: ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره، وقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (**يا أيها الناس: إنما مثلكم، وإني لا أدرى لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يُطيق. إن الله اصطفي محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما مُتَّبِعٌ ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زغت فقَوِّمُوني وإن رسول الله ﷺ قبض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة، ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيبت عنكم علمه، فإن استطعتم ألاَّ يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإن قوماً نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم، الجِدّ الجِدّ، والوحا الوحا[١]، والنجاء النجاء[٢]، فإن وراءكم طالباً حثيثاً[٣]،**

(١) الوحا: العجلة والإسراع، وحي وتوحي: أسرع، ووحاء، عجله.
(٢) النجاء: الإسراع.
(٣)حثيثاً: سريعاً.

**أجلاً مرّهُ سريع، احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء بما تغبطون به الأموات)** [١].

خطب أبو بكر رضي الله عنه في الناس، من أجل إتمام بعث أسامة الذي كان قد أُعِدَّ قبل وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وهو من أول أعماله التي قام بها رضي الله عنه في خلافته. وقد استعان في خطبته ببعض الأساليب البلاغية التي توضح المعنى، وتعمق الفكرة، كما استخدم بعض الأساليب المؤثرة في شد انتباه الناس، وحثهم على فعل الخير والجهاد في سبيل الله.

من الأساليب البلاغية الواردة في هذه الخطبة: القصر بطريقَيْ إنما، والنفي والاستثناء، وأسلوب التوكيد، والإيجاز.

**فالقصر بطريق (إنما)**: هو الأسلوب الذي استهلّ به –رضي الله عنه– الشروع في موضوع هذه الخطبة بعد مقدمته، فقال: **(يا أيها الناس إنما أنا مثلكم)**، ويُعرِّف علماء البلاغة القصر في اصطلاحهم: بأنّه تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص[٢]. فأسلوب التخصيص هو القصر، والشيء المخصَّص هو المقصور عليه، والشيء المخصِّص هو المقصور، والمقصور والمقصور عليه هما طرفا القصر في الجملة. وعمليّة التخصيص لا

(١) انظر تاريخ الطبري، ٢٢٣/٣.
(٢) انظر: المطول: ٢٠٤، وشرح عقود الجمان: ٤٣، وبغية الإيضاح: ٣/٢.

تتمّ إلاّ من خلال طرق مخصوصة هي طرق القصر، وهي كثيرة[١]، ومنها (إنما). والقصر كأسلوب من أساليب علم المعاني البليغة يؤدّي عدداً من الأغراض البلاغيّة، والنكات البيانية، ومن أهمّها الإيجاز، وتقرير المعنى المراد وتأكيده، يقول الشيخ عبد المتعال الصعيديّ: "يكون القصر طريقاً من طرق الإيجاز، ويكون الإيجاز من أهمِّ أغراضه..."[٢].

وفي أفادة القصر التوكيد يقول الدكتور رجاء عيد: "أنّ أدوات القصر لا تفيد سوى التأكيد"[٣]، والصحيح أنّ التأكيد من النكات البلاغية التي يفيدها القصر، وليس هو السّر الوحيد فيها.

وجملة القصر التي معنا أفادت الإيجاز، وكذلك أفادت التوكيد، وكون أنها تفيد الإيجاز لأنها جملة واحدة في قوّة جملتين إحداهما مثبتة، والأخرى منفيّة؛ إذ القصر بجميع طرقه يقوم على دعامتين: إثبات ونفي, إثبات المذكور ونفي ما عداه, فالإثبات منصوص عليه في جملة القصر، والنفي مفهوم منها، فقوله: (**إنما أنا مثلكم**) يدلّ بالنص على المثبت، دون المنفيّ، ويفهم من خلالها النفي، وتقدير الكلام: (**إنما أنا صحابيٌّ مثلكم، ولست**

(١) أوصلها السيوطي في كتابه الإتقان إلى أربعة عشر طريقا. انظر الإتقان في علوم القرآن: ٧٩٧/٢ – ٨٠٣.

(٢) بغية الإيضاح: ٣/٢، وانظر كتاب: من أسرار التركيب البلاغي: ٧٨، للدكتور سيّد عبد الفتّاح حجاب، ط١/ ١٣٩٧هـ - المكتبة التوفيقية، مصر.

(٣) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور: ١٢٧.

**نبيّاً**)؛ ولذلك جاء عقب جملة القصر مباشرة: (**وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يُطيق**). وبهذا تبين أن جملة القصر بإنما تفيد الإيجاز والاختصار.

وأمّا كونها تفيد التأكيد والتقرير، فذلك لأنّ أسلوب القصر يدلّ على عدم تجاوز المقصور للمقصور عليه، فالمقصور عليه (**مثلكم**)، والمقصور (**أنا**)، يعني أنه بلا شك صحابي مثلهم، لا يتجاوز ذلك إلى النبوة، يقول الدكتور علي البدري: " أمّا كونه من أساليب التوكيد، فمردّ ذلك إلى أنّ إثبات المقصور للمقصور عليه وعدم تجاوزه له إلى ما سواه... يؤدِّي إلى توكيد نسبته له"[(١)]. وبهذا اتضح أن مجيء القصر هنا بأداة (إنما) حقَّق المطابقة لمقتضى الحال، وأدَّى الغرض المقصود من إيراده. ونحوه قوله: أيضاً: (**إنما أنا متبع**).

**القصر بطريق النفي والاستثناء:**

طريق النفي والاستثناء من أبلغ طرق القصر وأقواها , وذلك لما فيه من وضوح معنى القصر, فهو يتحقق بالنفي أولا , ثم الاستثناء ثانياً , وجاء في هذه الخطبة قوله: (**ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله**)، فهو تعبير عن التوفيق

---

(١) بحوث المطابقة لمقتضى الحال (( زاد النقد الأدبي السليم )): ٩/٢. د. علي البدري، ط١٤٠٤/٢هـ، مطبعة السعادة، القاهرة. وينظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية: ١٢٣. والقصر طرقه وأثره في التعبير الأدبي، د. محمودالقطان، ط١ / ١٩٨٥م، مكتبة الحلبي – المدينة المنورة، وبدائع القصر في النظم العربي: د. إبراهيم علي حسن داود، مطبعة الأمانة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

للعمل الصالح لا يمكن أن يكون إلا بالله، بطريق المبالغة والتوكيد الذي في أسلوب القصر، يقول الدكتور محمّد أبو موسى: "إنّ النفي والاستثناء هو الطريق الأمّ بين طرق القصر، وإنهم يقيسون عليه غيره، ويصطنعون في توضيح صورة المعنى،... "(١). وقد جاء هذا المعنى في صورة واضحة جزلة قوية، مع إفادة ذلك التوكيد، قال ابن يعيش: "فالإخبار بالنفي أقوى؛ لأنّه أوكد، ألا ترى أنّ قولك: ما قام إلاّ زيدٌ، أوكد من قولك: قام زيد ؟"(٢).

والقصر في هذه الخطبة من قبيل قصر الصفة وهي التوفيق (أو عدم استطاعة عمل صالح)، على الموصوف وهو الله جلّ جلاله، فلا معين على عمل الخير إلاّ الله، وذلك على سبيل العموم فهو قصر حقيقي تحقيقيّ، فالله وحده هو المتفرّد بالعون على العمل الصالح،ولن يستطيع غيره فعل ذلك.

وقد اقتضى المقام إيثار الدلالة على القصر بالنفي والاستثناء؛ وذلك لأنّ المخاطب وهم المسلمون وقد أصيبوا بوفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم– أيما إصابة، حتى إنه قد منع بعضهم الزكاة، ورجع آخرون عن الإسلام، فأراد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه من خلال ذلك تذكيرهم بالله سبحانه وتعالى، وأنه حي لا يموت، فليرجعوا إليه، وليسألوه التوفيق، فكان

(١) دلالات التراكيب: ١٢٠.
(٢) شرح المفصل: ٦٨/١.

هذا المعنى في قالب هذا الأسلوب القصري.

**أسلوب التوكيد** بأداة (إنّ):

ترد (إنَّ) في كلام العرب لتفيد جملة من المعاني، ذكرها علماء العربية في مصنفاتهم[1]، ومن تلك المعاني الواردة معنا في هذا البحث هي إفادتها التأكيد والتقوية، الذي هو الأصل في معانيها، فهي تعمل على تقوية النسبة بين المسند والمسند إليه، وتقريرها في ذهن السامع إيجابية أو سلبية.

ففي قوله -رضي الله عنه-: (**إن الله اصطفى محمداً على العالمين**)، وقوله: (**إن رسول الله قد قبض**)، وقوله: (**إن وراءكم طالباً حثيثاً**)، أسلوب التوكيد بأدة (إنّ)، وقد أفادت التقوية والتأكيد في معنى هذه الجمل، قال الزمخشري: "إنّ وأنَّ هما تؤكِّدان مضمون الجملة وتحقِّقانه"[2].

وطريقة التوكيد في الجمل باعتبار أنها في مقام جملتين مكررتين، كما هو الشأن في التوكيدات اللفظية، مع حصول نكتة أخرى وهي الإيجاز في العبارة، قال ابن يعيش: "فإنّ قول القائل: إنّ زيداً قائم، ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلا أن قولك: إنَّ زيداً قائم، أوجز من قولك: زيدٌ قائم زيدٌ

(١) انظر البرهان في علوم القرآن: ٥٠٥/٢، وانظر ١٦٦/٣، والإتقان في علوم القرآن: ٤٩٤/١، للسيوطي، تعليق: مصطفى البغا، ط١٤١٦/٣هـ، دار ابن كثير - دمشق.

(٢) المفصل في علم اللغة: ٣٤٩، للزمخشري، قدم له وعلق عليه: محمد السعيدي، ط١٤٠٥/١هـ، دار إحياء العلوم – بيروت.

قائم، مع حصول الغرض من التأكيد"[١]. وظاهر في هذه النصوص (**إن الله اصطفى محمداً على العالمين**)، (**إن رسول الله قد قبض**)، (**إن وراءكم طالباً حثيثاً**)، التوكيد على معناها، مع إفادتها الإيجاز.

ويؤكد -رضي الله عنه- بقوله: (**إن الله اصطفى محمداً على العالمين**)، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مصطفى من عند الله لمقام النبوة، فمن جاء بعده لا يمكن أن يحلّ محله، ولذلك قد يحصل منه بعض اللأخطاء، وعليهم النصح لله، وجاء هذا المعنى بعبارة مؤكدة، وبخاصة أنه في بداية خلافته لربما قارن بعض الناس بما يقوم به رضي الله عنه وبما كان يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم. وكان لهذه الأداة في هذا المعنى تأثير كبير في التركيب، وأثرٌ بَيِّنٌ في اتساق النظم وترابطه، ودقة المعنى ووضوحه، فقدأكد الشيخ عبد القاهر على أن في هذا الحرف دقائق ولطائف من تتبعها واستقرأها عَلِم علم اليقين أن ليس سواءً دخولها وأَلاَّ تدخل[٢]، مؤكداً في الوقت نفسه أن إدراك تلك الدقائق والخصائص والمواقع ليس بالأمر الهيِّن، إذ لا بُدَّ لها من استعداد خاص، وذوقٍ صافٍ، كما هو موجود عند أبي العباس في قصته مع الفيلسوف الكندي[٣]، وعند بشار بن برد في قصته

(١) شرح المفصل: ٥٩/٨، لابن يعيش، عالم الكتب – بيروت.
(٢) انظر دلائل الإعجاز: ٣١٥.
(٣) انظر القصة في دلائل الإعجاز: ٣١٥، ونهاية الإيجاز: ٣٥٧.

مع خلف الأحمر [١]. ومما قال في ذلك: "إنَّ ههنا فروقاً خفيَّة تجهلها العامة وكثيرٌ من الخاصّة، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في موضعٍ آخر، بل لا يدرون أنها هي، ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل "[٢].

وفي هذه الجملة (**إن رسول الله قد قبض**)، توكيد لوفاة رسول الله – صلى الله عليه وسلم، وأنه بشر، وقد كتب الله الوفاة لكل نفس، فلا غرابة في أن ينتقل الحبيب –صلى الله عليه وسلم– إلى الرفيق الأعلى، وقد آنس أبو بكر رضي الله عنه من الصحابة صعوبة هذا الفراق، وهم حديثو عهد به، فأكّد لهم هذا المعنى بأنه قد قبض، صلوات ربي وسلامه عليه، فنزلهم منزلة المنكر، ونحو هذا المعنى وتنزيلة غير المنكر، ما أشار إليه القزويني بقوله: "نزل استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه"[٣].

وكذلك في قوله: (**إن وراءكم طالباً حثيثاً**) توكيد لمعنى الموت، وأن كل نفس ذائقته، وأنهم لا ينكرونه، ولكن لكثرة ما يغفل عنه الناس، ولا يعملون لهذا اليوم، فكأنهم ينكرون وقوعه، ولذلك جاء التوكيد مُنَزِّلاً إياهم منزلة المنكر، فاقتضى المقام هذا التأكيد، على غرار ما جاء في قوله تعالى: (ثم إنكم بعد ذلك لميتون)، حيث أُكِّد إثبات الموت "وإن كان مما لا يُنكر؛ لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت؛ لتماديهم في الغفلة

(١) انظر القصة في دلائل الإعجاز: ٢٧٢.
(٢) دلائل الإعجاز: ٣١٥.
(٣) الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٣/١.

والإعراض عن العمل لما بعده..."[(١)].

وقد ظهر مما سبق من تحليل للجمل التي وردت فيها (إنَّ) أنها أفادت التوكيد والإيجاز. وبجانب ذلك أيضاً نرى أنها تربط بين الجملة الداخلة عليها، وبين الجملة قبلها برباطٍ قويّ، بحيث لا يستقيم الكلام بدونها؛ فلوحظ أنه عندما قال أبو بكر رضي الله عنه: (**الجد الجد، والوحا الوحا، والنجاء النجاء**) هذه جمل بمعنى: الزموا ذلك، ثم ربطها بجملة بعدها فيها (إنَّ) وهي قوله: (**إن وراءكم طالباً حثيثاً**). فالجملتان كلامان مستقلان، فإذا جاءت (إنَّ) بينهما ربطتهما وجعلتهما كالقول الواحد. وهذا ما جعل الجملتين مع بعضهما بسبب أداة التوكيد (إنّ) تكتسي حسناً وجمالاً، وائتلافاً واتساقاً، ولذا قال الشيخ عبد القاهر: "... كأن الكلامين قد أُفرغا إفراغاً واحداً، وكأنّ أحدهما قد سبك في الآخر، هذه هي الصورة، حتى إذا جئت إلى (إنَّ) فأسقطتها رأيت الثاني منها قد نَبَا عن الأَول، وتجافى معناه عن معناه... "[(٢)].

وليس معنى هذا أنه كلّ ما وجدت (إنّ) في بداية الجملة أنه لابد من ربطها فيما قبلها، وإنما يكون ذلك إذا أريد بـ (( إنَّ )) البرهان والتعليل على

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢٦/١.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣١٦، وانظر نهاية الإيجاز: ٣٥٢، والتبيان في علم البيان: ٦١، والبرهان: ١٥٦ كلاهما للزملكاني، والطراز: ٢٢٠/٢، وحسن التوسل: ١٧٠، لشهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان، دار الحرية، بغداد، ١٤٠٠هـ.

القضية السابقة، بأنْ يكون ما بعدها سببٌ لِمَا قبلها[(١)]، كما رأينا في قوله: (**إن وراءكم طالباً حثيثاً**). وكذلك يظهر هذا الارتباط في قوله: (**إن الله اصطفى محمداً على العالمين**)، لأنه جاء تعليلاً لما قبله؛ (**لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يُطيق**)، (**إن الله اصطفى محمداً على العالمين**). فالجملة الثانية تعليل للجملة السابقة؛ لأنه لا ينبغي أن يكلَّف الخليفة بما لا يطيق؛ لأنّه ليس بنبي مصطفى.

أمَّا في قوله: (**إن رسول الله قد قبض**)، لا يظهر وجه الارتباط بما قبله، وإنما فيه التحقيق والتوكيد على أمر قد وقع، ولا ينبغي أن يُنكر.

هذه الخطبة مليئة بالأساليب البلاغية؛ لأنها طويلة، والخطيب في غاية الفصاحة والبلاغة، ولذا يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وقد ظهر من خلال الحديث عن الجمل التي وردت بأسلوب القصر وأسلوب التأكيد أنه يستفاد منه الإيجاز، والإيجاز مطلب مهم من مطالب البلاغة العربية. وقد قيل لبعضهم ما البلاغة؟ فقال الإيجاز، وقيل لبعضهم لم لا تطيل الشعر؟ فقال حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق[(٢)].

هذا ويكمن أسلوب الإثارة في استخدام بعض الأدوات في موضعها المناسب، لتتحقق أهداف الخطبة، وهي انتباه السامع والتشوق لما يلقى إليه

---

(١) ينظر: الصناعتين: ١٧٣/١.

(٢) شرح المفصل: ١١٨/٨.

وتأثيره بذلك والعمل على مقتضى المراد.

ويلاحظ أنّه في الخطبة لا يراد مناداة الناس ليقبلوا بأنفسهم، وإنما يراد بها التنبيه على أمر مهم، وأيد هذا ابن جني بقوله: وقال ابن جني: " (يا) في النداء تكون تنبيهاً ونداء... وقد تجردها من النداء للتنبيه البتة"(١). ويدل لذلك قرب المخاطبين من الخطيب. ولكنه استعمل (يا) وهي للبعيد، والمنادى قريب؛ من أل إعداد النفس لتلقي كلام المخاطب، وبخاصة إذا كان الكلام له خطر، وله بال(٢). ويقول الزمخشري: "(يا) حرفٌ وضع في أصله لنداء البعيد، صوت يهتف به الرجل بمن يناديه... فإذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معني به جداً"(٣).

فاستعمال (يا) في نداء القريب إنما هو لإفادة معنى التوكيد في تنبيه المخاطب وإثارة استيقاظه، و" لحرص المنادى على إقبال المدعو عليه ومفاطنته لما يدعوه له" (٤).

---

(١) الخصائص: ١٩٦/٢.

(٢) ينظر: شرح أحاديث من صحيح البخاري: ٣١٢، د. محمد أبو موسى ط١ / ١٤٢١هـ، مكتبة وهبة – القاهرة.

(٣) الكشاف: ٢٢٤/١، وينظر الجنى الداني: ٣٥٤ – ٣٥٥، ومغنى اللبيب: ٤٤٨، وشرح المفصل: ١١٨/٨ لابن يعيش، ومصابيح المغاني ٥٤٣، والبرهان في علوم القرآن: ٥١٢/٢ للزركشي، والإتقان في علوم القرآن: ٥٧٤/٢.

(٤) المفصل: ٣٦٨، للزمخشري، قدَّم له وراجعه وعلَّق عليه: د / محمد السعيدي ط١٤١٠/١هـ، دار إحياء العلوم بيروت لبنان.

وهكذا كان شأن أبي بكر رضي الله عنه مع الصحابة، حيث أراد شحذ هممهم واستعدادهم لهذا الأمر الجلل الخطر، وهو إتمام وتنفيذ ما كان قد أعدَّه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من جيش أسامة للجهاد في سبيل الله، وأن أسامة شاب صغير، فليسمعوا وليطيعوا، وأن ذلك في سبيل مرضاة الله، فبيعوا أنفسكم لله، (**فسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال... الجد الجد، والوحا الوحا، والنجاء النجاء، فإن وراءكم طالباً حثيثاً**...) إلى آخر ما قال في خطبته رضي الله عنه وأرضاه- فتمكنت تلك المعاني الجميلة والقيم العظيمة في نفوس الناس، وتأكدت في أذهانهم ؛ لأنهم هيئوا بالنداء لتلقيها وشوقوا لمعرفتها.

ولا شكّ أنّ هذا عبء ثقيل ألقي على عاتق الصديق رضي الله عنه فهي التجربة الإسلامية الأولى للمسلمين في الحكم بعد غياب رسول الله ﷺ، في الوقت الذي أخذت الفتنة ترفع رأسها. فالمنافقون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم شقوا عصا الطاعة وعادوا عن إسلامهم. ولكن إيمان الخليفة الشيخ كان أقوى من الفتنة وأهلها، حين استطاع بموقفه الحازم أن يعيد الأمور إلى نصابها. ولا يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل إنّ أبا بكر رضي الله عنه أخذ يوجّه الجيوش إلى الجهاد والفتوح في سبيل الله. وهنا يتجلى جانب آخر من عبقرية الصديق. وقد حاول من خلال هذه الخطبة وضع الناس

على الطريق السليم وهو طريق التفريق بين عهد النبي ﷺ وعهده ﷺ. فهو مهما بلغ من الرشد فهو متبع للرسول الكريم وليس مبتدع.

وبمجمل الخطبة لا تخرج عن إطار الخطب الوعظية التي يدعو فيها الحاكم رعيته إلى الطريق القويم دونما ابتداع.

وقد وضح أبو بكر الصديق في هذا القبس الخطابي عدة دعائم من دستور الحكم في الإسلام، مما يقوم على الشورى، والولاية وتحري جادة الصواب، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمساواة والإنصاف بين الرعية(١).

* * *

(١)انظر عبد المجيد الإسداوي، مرجع سابق، ص: ٣٧٢.

## ٥- خطبة أخرى له:

ومن خطبه: حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

**(إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فرفع الناس رءوسهم، فقال: مالكم يا معشر الناس ؟ إنكم لطمَّاعون عجلون، إن من الملوك مَنْ إذا ملك زَهَّد الله فيما يده، ورغَّبهُ في يَدي غيره، وانتقصهُ شَطرَ أجله، وأشْرَبَ قَلبهُ الإشقاق، فهو يحد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء، وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القسي[١]، والسَّراب الخادع، جَذل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت[٢] نفسه، ونضب عمره، وضحا ظله، حاسبه الله فأشدَّ بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإنكم اليوم على خلافة نبوة، ومفرق محجّة[٣]، وسترون بعدي ملكاً عضوضاً[٤]، وأمة شعاعاً، ودماً مفاحاً، فإن كانت للباطل نزوة[٥]، ولأهل الحق جولة، يعفو لها الأثرُ، وتموت السنن، فألزموا المساجد، واستبشروا القرآن، وألزموا الجماعة،**

---

(١) انظر: لسان العرب (قسي). قسيّ على وزن شقيّ، والدرهم القسيّ: هو الدرهم الفاسد الرديء الزائف، ويكون كذلك إذا كان مغشوشاً بنحاس أو غيره.

(٢)وجبت: مات، ووجبت الشمس: غابت ؛ والعين غارت. (القاموس: وجب).

(٣) المحجة: الطريق. (القاموس: حجج).

(٤) العضوض: ما يعض عليه، وملك عضوض: فيه عصف وظلم.

(٥) نزوة: وثبة. (القاموس: نزو).

**وليكن الإبرام بعد التشاور، والصَّفقة بعد طول التناظر، أي بلاد خرشنة**[١] **إن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها)** [٢].

من خلال التأمل في الخطبة يظهر أن فكرة الموضوع: هو تحذير الأمة وتنبيههم على الفتن التي قد تحدث في الدولة، والأمور الغريبة التي ربما ستحصل بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

وقد استهلّ الخطبة بأسلوب التأكيد وهو ضرب من أضرب الخبر، فقال: (**إنَّ أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك**)، وهذا النوع من الخبر يستحسن فيه الإتيان بأداة توكيد، وذلك لأن في هذا الخبر ما يدعو السامع إلى تشوف أو تردّد، مما جعل الحضور يرفعون رؤوسهم استغراباً لهذه المقالة التي صرح بها أبو بكر رضي الله عنه، فأجابهم: (ما لكم يا معشر الناس؟ إنكم عجلون...)، وقد أصاب الخليفة -رضي الله عنه- في استخدامه هذا الأسلوب في هذا الخبر الغريب، قال الشيخ عبد القاهر: إن حرف التأكيد (إنَّ) يزداد حسناً إذا كان الخبر بأمرٍ يبعد مثله في الظنّ، وبشيء قدجرت عادة الناس بخلافه [٣]. فمجيء أداة التأكيد (إنَّ) إنما كان لتأكيد ذلك الأمر المخالف للظن وإقراره في النفس ؛ لأنه أمر مُستغرَب على النفس لم تألفه ولم تعتده من قبل.

(١) خرشنة: بلد بالروم، والمراد بلاد الروم. ينظر: معجم البلدان: (خرشنة).

(٢) انظر جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ص: ١٨٣-١٨٤.

(٣) انظر دلائل الإعجاز: ٣٢٥، ونهاية الإيجاز: ٣٥٩، والتبيان في علم البيان: ٦٣، وحسن التوسل: ١٧٣.

ومن الأساليب البلاغية: **التشبيه:** فقد ورد في قوله: (**كالدرهم القسيّ**) أي الدرهم الزائف. و(**السراب الخادع**).

والتشبيه طريق من طرق التصوير البياني، له شأن عظيم بين علوم البلاغة، يقول عنه العلوي:" هو بحر البلاغة، وأبو عذرتها، وسرّها، ولبابها، وإنسان مقلتها "[(١)].

وهو فنٌّ تعبيري جميل، يوضّح الفكرة، ويظهر المعنى، ويجلّي المراد، عرَفه العرب بفطرتهم، فجرى على ألسنتهم، وشاع في كلامهم، وكثر في أشعارهم كثرة تلفت النظر وتسترعي الانتباه، حتى لو قال قائل: " هو أكثر كلامهم لم يبعد "[(٢)].

ولا يماري أحد قديما وحديثا فيما للتشبيه من خصائص بلاغية جمالية في النفوس، فأسلوب التشبيه يحقق ثلاثة أمور: **البيان، والمبالغة، والإيجاز**[(٣)].

أما البيان؛ فلأنه يظهر المراد ويوضحه عن طريق تصويره وتمثيله، والصورة خير وسائل البيان. وأما المبالغة ؛ فلأنه يقوي المراد ويؤكده بجعله نظيراً لما هو أتم وأشهر.

وأما الإيجاز ؛ فلأنه يغني عن وصف المشبه بعدد من الصفات التي

(١) الطراز: ٣٢٦/١.
(٢) الكامل: ٤٢/٣، لأبي العباس المبرد، ط/مصطفى الحلبي، ١٣٥٦هـ - ١٩٢٧م.
(٣) انظر المثل السائر: ٢/ ١٢٩.

يمكنها أن تفيد ما يفيده التشبيه [١].

وهذ الأمور تظهر بجلاء في تشبيهات هذه الخطبة، (**كالدرهم القسيّ**) و(**السراب الخادع**). فقد شبه حالة الملك الذي لا ثقة فيه ولا يفيد أمته بالدرهم الزائف؛ ووجه الشبه بينهما عدم الفائدة، إلى جانب ما فيه من أذى للمجتمع. وهذا تشبيه في غاية الوضوح، والغرض منه التحذير من أمثال هؤلاء. كما أنه حقق المبالغة التي هي توكيد تلك الصفة المذمومة. كما أن التشبيه حقق الإيجاز؛ فلو أريد شرح حالة الملك وشرح كيفية ضرره وعدم نفعه لطال الكلام وكثرت الألفاظ، فالتشبيه بما هو أشهر في عدم الفائدة أغنى عن ذاك التطويل.

ومثل هذا يقال في التشبيه الآخر الوارد في الخطبة وهو قوله: (**والسراب الخادع**)، وقد حذفت منه أداة التشبيه لدلالة ما قبله عليه، ويسمَّى هذا التشبيه الذي حذفت منه الأداة بالتشبيه المؤكد[٢]، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو السعي وراء شيء لا يُنال منه إلا الوصب والضرر وضياع الوقت.

والتشبيهان اللذان معنا من قبيل التشبيه المركب، أي تشبيه حالة بحالة، ويسميه بعض البلاغيين بالتشبيه التمثيلي[٣]. وهذا الضرب من التشبيه يمكّن

(١) أفنان البيان: ١٣٠، أ. د. الشحات أبو ستيت، ١٤١٧هـ.
(٢) ينظر: معاهد التصيص: ٩٩/٢.
(٣) ينظر: أسرار البلاغة: ١١٥.

المعاني في النفوس ويغريها بها، وقد أشاد به الشيخ عبد القاهر الجرجاني فقال: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصارٍ في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أُبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا" (١).

ويُلاحظ أن المشبه في التشبيهين معقول وهو (الصفات المعنوية المذمومة التي يتصف بها بعض الملوك)؛ لأن الغرض ليس ذات الملك وإنما ما يحمله من صفات. ويلاحظ أيضاً أن المشبه به فيهما محسوس (الدرهم، والسراب)، فهو من تشبيه الخفي بالجلي الواضح، ومن المقرر عند البلاغيين أنّ "النفس إلى المحسوس أميل منها إلى المعقول" (٢)؛ لأن المحسوسات أظهر وأوضح، وأقرب في الإدراك من المعقولات. كذلك أن الحسي يحيل الفكرة من معنى ذهني مجرد إلى صورة حسية مشاهدة، وهذا يزيد في إيضاحها واستيعابها، ويساعد في تثبيتها، ويرفع ما كان يكتنفها من غموض أو لبس، وقد ذكر السيوطي: أن التشبيهات يستفاد منه أمور كثيرة، منها: تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإنّ التشبيهات تصور المعاني بصورة

(١) أسرار البلاغة: ١١٥، وانظر الإيضاح مع البغية: ٨/٣ وما بعدها.
(٢) مفتاح العلوم: ١٧٨.

الأشخاص؛ لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواسِّ ومن ثَمّ كان الغرض منه تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد(١).

والخلاصة من هذا التحليل أن التشبيهين الواردين في هذه الخطبة، تحذر من الاتصاف بالأخلاق السيئة، وتوصي بالابتعاد عن الملوك والرؤساء الذين أكبر همومهم هو الدنيا، ولا يفكرون في مصالح أممهم وشعبهم، وهذا التنفير والتحذير أوضحه التشبيه حيث جيء بالمشبه به الذي كانت فيه تلك الصفة أتم وأشهر (وهو الزيف والخداع وعدم النفع)، فقال: كالدرهم القسي، والسراب الخادع، وهذا لاشك أبشع صورة وأشنع منظر، ممّا يحمل النفوس السليمة على التقزّز منها والبعد عنها، ولا شك أن هذه الطريقة أبلغ أثراً وأعمق تأثيراً في نفوس المخاطبين من النهي الصريح.

وتوجد في هذه الخطبة كثير من الاستعارات الرائعة، وهي قوله: (**ملكاً عضوضاً**)، و(**أمَّة شَعاعاً**)، و(**دماً مفاحاً**)، (**فإن كانت للباطل نزوة...**).

ومضمون هذه الاستعارات هو إرشاد الناس وما يجب عليهم أن يفعلوه إذا ظهرت مثل هذه الأشياء التي عبر عنها في أساليب الاستعارة، لأن الاستعارة لها أثرٌ كبير واضح في تأدية المعنى وتأكيده وتقريره في ذهن المخاطب. كما كان لها أثر في تصوير المعاني؛ فصوَّرت الملك إنساناً فيه عسف وظلم، وجعلت الأمَّة شمساً لها أشعة متفرقة مشتتة في أرجاء الكون،

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٠٤٢/٢.

وصوَّرت كثرة الدماء البشرية المهراقة ظلما وعدواناً بالطيب والروائح الفواحة التي تملأ المكان، وجعلت الباطل حيواناً له نزوة، وهكذا ترى هذا اللون البلاغي -من أول وهلة- يصل بالمعنى إلى أقصى حدود المبالغة، حيث يتناسى التّشبيه، وبجانب ذلك نجد أنّ اللّفظ المستعار يحمل من معانٍ قويّة، وإيحاءاتٍ لطيفة [(١)].

والاستعارة باعتبار ذكر الطرفين- نوعان: استعارة تصريحية، واستعارة مكنية، فالتصريحية هي التي صرح فيها بذكر المشبه به فقط، نحو: رأيت أسداً، وأمّا المكنية فهي التي حذف منها المشبه به، وبقي شيء من لوازمه وإثباته للمشبه، نحو أظفار المنية.

والاستعارات التي معنا في هذه الخطبة جميعها من نوع الاستعارة المكنية، ففي قوله: (**مُلكاً عضوضاً**)، نجد الاستعارة ظاهرة في (عضوضاً)، ويقصد به الظُّلم، وهو من لوازم الإنسان، لأن أصل التشبيه: هو تشبيه الملك بإنسان ظالم عضوض، فحذف المشبه به وهو الإنسان، ورمز له بشيء من لوازمه وهو العضوض، وأثبتت هذه الصفة للملك الذي هو المشبه على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.

وهكذا الشأن في المثال الآخر وهو قوله: (**أمَّة شَعاعاً**)، فالأمة هي المشبه، والشمس مشبه بها، ثم حذفت ورمز له بشيء من لوازمها وهي

(١) ينظر: أفنان البيان: ٢٠٠.

الشعاع، ونسب هذا الشعاع للأمَّة، على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.

و(**دماً مفاحاً**)، فالدم مشبه، الطيب مشبه به، ثم حذف المشبه به وبقي من لوازمه وهو الفوح، ثم نسب للدم، على سبيل الاستعارة المكنية والتخييلية.

(**فإن كانت للباطل نزوة...**). الباطل هو المشبه، والحيوان الفحل هو المشبه به، ثم حذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو النزو، ثم أثبت للباطل على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية.

ومن خلال إجراء هذه الاستعارات تبين أنه يتحقق فيها أنواعاً عديدة: الإيجاز، والمبالغة، والإيضاح والبيان، والتّأكيد والتّقرير، وهذا من طبيعة الاستعارة[١]، ولذا قيل في شأن الاستعارة بأنه يمكنك أن "تخرج من الصّدفة الواحدة عدّة من الدّرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثّمر"[٢].

فالإيجاز يظهر من حذف أحد طرفي التّشبيه، حيث يحذف المشبّه به، ويبقى المشبه، كما رأينا في تلك الأمثلة[٣].

وتحقيق **المبالغة** ملحوظ من زاوية الادّعاء، لأنه يُدَّعى أنّ المشبّه من

(١) ينظر: الصّناعتين: ٢٧٤. وأسرار البلاغة: ٤٣.

(٢) أسرار البلاغة: ٤٣

(٣) مدخل إلى علم البيان: ٢١٥، د. سلامة جمعة، بحث منشور في مجلّة كلّيّة اللّغة العربيّة بإيتاي البارود، العدد الـ ١٧-١٤٢١هـ.

جنس المشبّه به، فتفيد الاستعارة من قوّة المبالغة ما لا تفيده أرقى صور التّشبيه، حتى قال ابن رشيق: "الاستعارة لا تكون إلاّ للمبالغة، وإلاّ فهي حقيقة"(١).

ويتحقق **الإيضاح والبيان**، من خلال تشخيص الاستعارة للمعاني، وتجسيدها، وبما تخلعه عليها من معانٍ حسّيّة، حتّ " إنّك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرسى مبينة، والمعاني الخفيّة بادية جليّة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعزّ منها، ولا رونق لها ما لم تزنها، وتجد التّشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها، وإن شئت أرتك المعاني اللّطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جُسِّمَتْ حتّ رأتها العيون، وإن شئت لطَّفت الأوصاف الجسمانيَّة حتّ تعود روحانيّة لا تنالها إلاّ الظّنون " (٢).

ويتحقق فيها **التّأكيد والتّقرير**، يقول أسامة بن منقذ: " والاستعارة أوكد في النّفس من الحقيقة، وتفعل في النّفوس ما لا تفعله الحقيقة " (٣).

ويرى بعض البلاغيين أن الاستعارة المكنيّة أبلغ من الاستعارة التّصريحيّة لاحتياجها إلى مزيد من التّأمّل والتّفكير. وذلك لأنها تجسِّم

---

(١) العمدة: ٥٥/٢.المصدر السّابق: ٢٧٠/١.

(٢) أسرار البلاغة: ٤٣.

(٣) البديع في البديع في نقد الشِّعر: ٧١. وينظر: علم البيان في الدّراسات البلاغيّة: ٢٨٦، د. علي البدريّ، ط١٤٠٤/٢هـ - دار الكتاب الجامعيّ بمصر.

الأشياء المعنويّة وتعرضها في صور محسوسة معبّرة، توضّحها وتجلّيها أمام أذهان المخاطبين، وأفئدة السّامعين، وذلك يُحْدِث أثراً بليغاً في نفوس المتلقِّين. ولأنها " تبرز البيان في صورة مستجدّة، تزيد قدره نبلاً وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنّك لتجد اللّفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتىّ تراها مكرّرة في مواضع، ولها في كلّ واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد، وفضيلة مرموقة، وخلابة مومُوقة " (١). وإخراج الشّيء في صورة جديدة يجعل النّفس تقبل عليه، وتتلذّذ به، فيثبت فيها، ويتمكَّن لديها، كما أنّ الاستعارة تحتاج إلى فكرٍ ورويّة، وتعب في تحصيلها وفهم مرادها، وهذا يجعلها تتأكّد في النّفس وتثبت ؛ لأنّ الشّيء إذا نيل بعد تعبٍ ومشقّة كانت النّفس حريصةً عليه، ضانّة به، غير مفرّطة فيه"(٢).

فالاستعارات التي وردت في هذه الخطبة طابقت مقامها التي قيلت فيها، وهو مقام التوجيه والإرشاد على ما يجب فعله، وهو لزوم المساجد، والجماعة والتمسك بالقرآن الكريم.

وقد اشتملت هذه الخطبة على كثير من طرق الإقناع والتأثير متمثلة في بعض التراكيب البلاغية كالتشبيهات المركبة، فقد كان لها تأثير كبير في النفوس، وسبب ذلك -كما يقول الشيخ عبد القاهر-: "... أنّ أُنس

(١) أسرار البلاغة: ٤٢ ( بتصرف يسير ).
(٢) أفنان البيان: ٢٠٣.

النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي وتأتيها بصريح بعد مكنيّ، وأن تردها في الشيء تعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع ؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة كما قالوا: ((ليس الخبر كالمعاينة))، و ((لا الظن كاليقين))، فلهذا يحصل بهذا العلم هذا الأنس أعني الأنس من جهة الاستحكام والقوة" [(١)].

يقول الفخر الرازي: " إن المقصود من ضرب الأمثال أنّها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لأن الغرض من المثَل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقا للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح، ألا ترى أن الترغيب إذا وقع في الإيمان مجرداً عن ضرب مثَل له، لم يتأكد وقوعه في القلب كما يتأكد وقوعه إذا مثل بالنور، وإذا زهد في الكفر بمجرد الذكر، لم يتأكد قبحه في العقول، كما يتأكد إذا مثل بالظلمة، وإذا أخبر بضعف أمر من الأمور، وضرب مثله بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في تقرير صورته من

(١) أسرار البلاغة: ١٢١/١ - ١٢٢، وانظر الإيضاح مع البغية: ١٠/٣، وكتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: ١٤٥ - ١٤٦، للصفدي، تحقيق: د. هلال ناجي ووليد الحسن، ط ١/ ١٤٢٠ هـ - ضمن سلسلة إصدارات الحكمة - بريطانيا.

الإخبار بضعفه مجرداً، ولهذا أكثر الله تعالى في كتابه المبين، وفي سائر كتبه، أمثاله[١]...".

ومنها أدوات التنبيه التي ذُكِرَت في هذه الخطبة (ألا) في قوله: (**ألا إن الفقراء هم المرحومون**)، وقد سبق الحديث عن هذه الأداة وفُصِّل القول فيها بما لا داعي لإعادة ذكر خصائصها. وقد دخلت على هذه الجملة لتثير في نفوس السامعين الرحمة والشفقة للفقراء والمساكين، وأنّ الراحمين يرحمهم الله، وزاد هذا التأثير بوقوع أداة التأكيد (إنّ) بعد أداة التنبيه.

ومن أسايب التأثير والتشويق: الاستفهام الذي لا يطلب منه جواب، كما في قوله: (**ما لكم يا معشر الناس؟ إنكم عجلون**)، وذلك لشدة انتباههم إلى ما سيُلقى إليهم من تفصيل وتوضيح وتفريق بين الأمرين المتشابهين، وهما الملكين، ملك فاسد كالدرهم القسي، وملك طيب مليء قلبه بالإيمان.

فالمعاني التي أراد إيصالها الخليفة الزاهد أمر الخلافة وحكم الناس. وبيَّن أن أشقى الناس هم الملوك الذين يتولون أمر الناس، ولا يستطيعون العدل فيهم. كما إن من الملوك من يزهد في الدنيا ويستطيع أن يوفي الأمانة حقها. وفي هذا تحذير للناس من الجري وراء سراب السلطة.

ويختم خطبته بدعوة الناس إلى التمسك بالكتاب والسنة والتزام

(١) التفسير الكبير: ٧٢/٢ – ٧٣، ط٣/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المساجد وجماعة المسلمين. مبشراً لهم بالفتوحات العظيمة التي يفتحها الله على يديهم. من بلاد الروم وغيرها من الفتوحات الإسلامية.

وقد بين –رضي الله عنه– أن الأمانة مرتبطة بالزهد فهو الوسيلة إلى العدل في عدة صور متباعد وفي هذا إضافة جمال وحسن للخطبة والإفهام. فقد استعمل في خطبته رضي الله عنه الاستفهام ليوضح المعنى الذي غاب عنهم وهذا يقودهم إلى الزهد عن المنافسة على السلطة والمنافسة على الآخرة وإخلاص النية. وكان سجعه في الخطبة قصير غير متكلف ولا مقصود مما زاد حسنه. واستعمل التشبيه ليزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً حين شبه بالدرهم القصي، والسراب الخادع.

وبعد أن حسن لهم الزهد في موعظته ذكرهم الموت وهو أعظم موعظة فبعده تكون المحاسبة. وكما أرشد ووعظ أصحابه ووعظ من بعدهم بأن الدنيا سوف تزداد سوءاً بسوء قد يكون عليه الملك العضوض مقارنة بزمن الخلافة الراشدة. كما وجه إلى العبادة والطاعة عند الفتن وعدم المشاركة فيها والتنافس على السلطة والدنيا التي تستباح معها الدماء، وتضيع السنن ووجههم إلى لزوم القرآن والمساجد. وحذر من الخروج على الحكام رغم ما يكون منهم ظلم وبشر أصحابه الفتح والنصر والتمكين لرفع الهمم وتقوية الإيمان.

* * *

## ٦- وفي خطبة له رضي الله عنه:

(إنّ الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، أريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها، وخطأ ظفرتم به، وضرائب أديتموها، وسلف قدّمتوه من أيّام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكّروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس وأين هم اليوم؟ أين الجبّارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في موطن الحروب؟ قد تضعضع[1] بهم الدهر، وصاروا رميماً، قد تركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟. قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كلا شيء، ألا ان الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفا بعدهم، فان نحن اعتبرنا بهم؛ نجونا، وان اغتررنا كنا مثلهم. أين الوضّاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ .صاروا تراباً، وصار ما فرّطوا فيه حسرة عليهم.

أين الذين بنوا المدائن، وحصّنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم. فتلك مساكنهم خاوية وهم

(١) تضعضع: أذلّ. (لسان العرب: وضع).

**ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً[١]؟**

**أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا، فحلّوا عليه، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت.**

**ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءا الا بطاعة واتباع أوامره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأن ما عنده لا يدرك الا بطاعته. أما انه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة).** [٢]

استهل موضوع الخطبة بأسلوب التأكيد بأداة (إنّ)، لتقرير المعنى الذي يريد رسوخه في قلب المؤمنين، وهو الإخلاص في العمل، فقال: (**إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه**)، ويتضمن هذا التوكيد الإيجاز أيضاً.

ومن أجل التوكيد على هذا المعنى العظيم لم يكتف بأداة التوكيد (إن) وإنما أضاف في هذه الجملة توكيداً آخر في أسلوب القصر بالنفي والاستثناء (**لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه**)، فهذان تأكيدان في جملة واحدة؛ لجلالة أمر الإخلاص، فبه النجاة في الآخرة، وبه يكون الظفر، ولهذا

---

(١) ركزاً: الصوت الخفي. (لسان العرب: ركز).

(٢) انظر تاريخ الطبري، ج ٣، ص: ٣١١.

أعقب هذه الجملة بأوامر تدعو إلى الإخلاص في العمل قال: (**فأريدوا الله بأعمالكم**)، وقال: (**واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وحظ ظفرتم به... وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية**)، وقال: (**اعتبروا بمن مات قبلكم**)، كل هذه الجمل تنصبّ في أهمية الإخلاص. والعمل الذي لا إخلاص فيه يكون هباء منثوراً. ولم يكن هذا بغريب من خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يحرص أيما حرص على أن يكون جميع المسلمين في الجنة، ولا سبيل لهم بذلك إلا بالإخلاص، فلذلك نرى هذه التوكيدات المتتالية تعقبها الأوامر. بل وينوع في الأساليب البلاغية التي تؤدي إلى غرس هذا المعنى في القلب، إلى نهاية خطبته.

وقد استخدم الأسلوب الإنشائي المتمثل في (الاستفهام) الذي خرج به عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى بلاغية. كقوله: (**تفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال**......) (**وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟**)، (**وأين الوضاء**...؟) (**وأين الذين بنوا المدائن**...؟) (**وأين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟**) وهكذا تتوالى الاستفهامات على أمور وقعت ومضت وعرفها الجميع. وهو لا ينتظر من استفهامه جواباً؛ لأن الاستفهام خرج إلى معنى آخر وهو الاعتبار بما مضى. والغرض من ذلك الرجوع إلى

الله الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو حي لا يموت، وإليه المصير. وإذا كان الأمر كذلك فعلى المسلم الإخلاص في عمله، وطلب رضا ربه.

وقد استفهم بأداة (أين) التي هي في الأصل تكون للسؤال عن المكان إذا قيل أين زيد؟ فجوابه في الدار أو في المسجد، ونحو ذلك،.... ثم هذه الألفاظ كثيرا ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام منها: التنبيه على الضلال نحو فأين تذهبون[1]. وفي هذه الخطبة وردت (أين) للاعتبار بما حل بالسابقين من الفناء. وكذلك استعان بأداة (هل) في قوله: (هل تحس منهم من أحد أو تسمع له ركزا).

هذه الخطبة شدَّت انتباه السامعين من بدايتها إلى نهايتها، وذلك لما فيها من مقوّمات الخطابة وهي كثيرة، منها استخدام التوكيد في مستهلّها، ثم الاستفهامات الكثيرة على أمور لا يُنتظر منها جواب، ثم باستخدام الأدوات الخاصة بالتنبيه زيادة في التأثير، ومن هذه الأدوات: (أَلاَ) و(أَمَا)، حيث قال -رضي الله عنه-: (**ألا وإنّ الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات**.....) وقوله: (**ألا إن الله لا شريك له**...)، وختم خطبته بقوله: (**أَمَا وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا شرَّ بشر بعده الجنة**).

(١) ينظر: الإيضاح: ١٣٥/١.

وهذه الأدوات تقع في صدارة الجمل، مفيدةً أغراضاً عدَّةً, ومعانيَ متنوعة، كالاستفتاح والتنبيه , والعرض , والتحضيض، والتمني، والاستفهام وغيره(١)، إلا أنها في هذا المقام تفيد التنبيه على أهمية الإخلاص، وتفيد أيضاً التحضيض على العمل يُبتغى به وجه الله سبحانه وتعالى.

ومما أسهمت فيه هذه الأدوات -إضافة إلى ما ذكر- ربط الأفكار، وشدّ الانتباه، والتأثير، والتقرير والتأكيد، ولذا أشار البلاغيون إلى أنَّ حروف التنبيه من مؤكدات الحكم والإسناد(٢)، وقد وضَّح الدكتور بسيوني فيود وجه إفادة تلك الحروف للتأكيد، فقال: " مما يُهَيَّأ به المخاطب وينبَّه لتلقي المعاني المهمة، أدوات التنبيه مثل: ألاَ وأمَا ونحوهما , حيث يؤتى بها تنبيهاً للمخاطَب من غفلته وإيقاظاً لمشاعره وتهيئة لحواسه لكي يصغى إلى ما يأتي بعدها من معان مهمة ويلتفت إليها , فتثبت تلك المعاني لديه وتقرّ بداخله، ويقوى حرصه على امتثالها وإجابتها" (٣).

وهذا التنبيه يُقْصَد به لفت انتباه المخاطب إلى ما تحدِّثه به , وهو ما سيأتي بعدها من كلامٍ ذا أهمية بالنسبة إلى المخاطب حتى لا يفوته المقصود نتيجة غفلته عنه.

وأداة التنبيه (أَمَا) ففي قوله: (**أَمَا وإنه لا خير بخير بعده النار، ولا**

(١) انظر الأزهية في علم الحروف: ١٧٢، ومغني اللبيب: ٩٥.
(٢) انظر: عروس الأفراح (( ضمن شروح التلخيص )): ١/٢٢١، والمطوَّل: ٤٧.
(٣) التشويق في الحديث النبوي (( طرقه و أغراضه )): ٦٥.

**شرَّ بشر بعده الجنة)**، وهي مثل (ألاَ) في كونها للتنبيه، وإتيانها في صدارة الكلام، وتفيد تأكيد مضمون ما تدخل عليه، ولذلك شبهّها الزجاجي بـ (أَلاَ)[١]. وقد جاءت الجملة بعد هذه الأداة لتفيد فكرة موضوع الخطبة وهو الإخلاص في العمل، وأن الجنّة أعدت للمخلصين.

ويبدو لي أن هذه الخطبة تدخل في إطار الخطب الوعظية التي قالها الخليفة الراشد أبو بكر الصديق مذكراً المسلمين فيها بمصير كل فرد فيهم وهو مصيرنا كلنا ألا وهو الموت... لذلك فهو يدعوهم لإخلاص العمل لله وحده.. لأن الإنسان مهما بلغ من العمر والقوة فمصيره إلى الزوال والفناء من هذه الدار. وقد سرد لهم الخليفة أبو بكر هذه السير مستشهداً بما كان قبلهم، من الملوك ومن أشد القوم الذين بنوا المدائن، وحصونها، ماذا كان مصيرهم فقد كان مصيرهم أيضاً الموت. لذلك فهو يدعوهم لتحسين أعمالهم في دار الفناء هذه والعمل لليوم الآخر[٢].

* * *

(١) انظر حروف المعاني: ( ١١). وينظر: شرح المفصل: ١١٥/٨.

(٢)انظر البيان والتبين، للجاحظ، ج ٢، ص: ٦٢.

### ٧- من خطبه رضي الله عنه:

(الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأستهدى الله بالهدى وأعوذ به من الضلالة والردى ومن الشك والعمى من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إلى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه و سلم وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون فأطيعوا الله ورسوله فإنه قال عز رجل ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) .

أما بعد أيها الناس إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك وإياكم والفخر وما فخر من خلق من التراب وإلى التراب يعود هو اليوم حى

**وغدا ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم فى الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا فإنه قال عز و جل ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد﴾ فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه وألحقنا به واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك)**.

استهل خطبته رضي الله عنه بجملة (**الحمد لله**) وهي جملة اسمية تفيد الثبوت والدوام والاستمرار، على ما ينبغي لجلال وجهه سبحانه. ثم صاغ المعنى نفسه في جملة فعلية (**أحمده**)، والجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث؛ وفي هذين الأسلوبين في معنى واحد أبلغ تعبير وهو حمد الله سبحانه وتعالى والثناء عليه في كل حال دائمة ومتجددة.

وقد قدّم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية؛ لأنّ تقديم الخطاب بالجملة الاسميّة أقوى وآكد من الخطاب بالجملة الفعليّة، وأكَّد ذلك

الطوفيّ(١) حيث يقول: "إنّ الخطاب بالجملة الاسميَّة أبلغ منه بالجملة الفعليّة، وآكد وأدلّ على قوّة الباعث النفساني عليه.."(٢). ولعلّ مردّ ذلك يرجع لطبيعة تكوين كلٍّ منهما بالنظر للدلالة اللفظيّة للاسم والفعل، فمن المعلوم المقرَّر أنّ الاسم هو الذي يدلّ على ذات أو معنى، والذات ثابتة مستقرَّة، أمّا الفعل فهو الذي يدلّ على حدثٍ مرتبط بزمان، فهو متغيِّر غير ثابت لاقترانه بزمانٍ معيَّن. ومن هنا أشار علماء البلاغة إلى أنّ وضع الاسم يدل على الثبوت والدوام والتأكيد، ووضع الفعل يدلّ على التجدّد والحدوث(٣). فالفرق بين الجملة الاسمية والفعلية ودلالة كلٍّ منهما فرقٌ لطيفٌ تمسُّ الحاجة في علم البلاغة إليه(٤). وأضفى الشيخ عبد القاهر الجرجاني توضيحاً على هذا حيث يقول: "وبيانه: أنّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى المثبت به من غير أن يقتضي تجدّده شيئاً بعد شيء، وأمّا الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدُّد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء. فإذا

(١) هو أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم، ولد في (( طوفى )) وهي قرية من سواد بغداد، كان ذكياً، شديد الشغف بالبحث والمعرفة، له من المؤلفات ما يربو على الأربعين، ومنها: الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، وموائد الحيس في شعر امرئ القيس، توفي ببيت المقدس في رجب عام ٧١٦هـ. انظر ترجمته في الدرر الكامنة: ١٥٤/٢، وشذرات الذهب: ٣٩/٢، وبغية الوعاة: ٢٦٢.

(٢) الإكسير في علم التفسير: ٢٨٢، ت: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب بمصر.

(٣) انظر مفتاح العلوم: ٢٠٨، والمصباح: ٣٩ – ٤٠، والإيضاح مع البغية: ١٨٣/١ – ١٨٤، و ٢٠٦ – ٢٠٧.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤.

قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبتّ الانطلاق فعلاً له، من غير أن تجعله يتجدَّد ويحدث منه شيئاً فشيئاً، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل)، و (عمرو قصير)، فكما لا تقصد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدَّد ويحدث، بل توجبهما وتثبتهما فقط، وتقضي بوجودهما على الإطلاق، كذلك لا تتعرّض في قولك: (زيد منطلق) لأكثر من إثباته لزيد، أمّا الفعل فإنّه يقصد فيه إلى ذلك ؛ فإذا قلت: (زيد ها هو ذا ينطلق)، فقد زعمت أنّ الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً، وجعلته يزاوله ويزجّيه " [١].

وفي هذا الموضع يذكر بعض البلاغيين[٢] أن من أسباب قوة الجملة الاسمية على الفعلية: أن الاسمية تفيد التوكيد، يقول ابن الأثير: "وإنّما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضربٍ من التأكيد والمبالغة..." [٣]، ويقول الدكتور بدوي طبانة: "واسمية الجملة تكون مؤكداً إن قصد التأكيد بها، على أنّ تأكيدها ليس على سبيل الاستقلال، بل على سبيل التبعية، فإن كان هناك مؤكّد آخر جعلت اسميّة الجملة من المؤكدات، وإلاّ فلا"[٤].

---

(١) دلائل الإعجاز: ١٧٤، وانظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: ١٥٦، لفخر الدين الرازي، تحقيق ودراسة: بكري شيخ أمين، ط١٩٨٥/١م، دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) انظر الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة: ٦٣ – ٦٤ للجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، ١٤١٨هـ، مكتبة الآداب، القاهرة.

(٣) المثل السائر: ٢٦٩/٢ – ٢٧٠، وقدم له وحققه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ط١٤٠٣/٢هـ، دار الرفاعي للنشر – الرياض.

(٤) معجم البلاغة العربية: ٣٩، د. بدوي طبانة، ط١٤٠٨/٣هـ - دار المنارة بجدة.

والذي تميل إليه النفس أن الجملة الاسمية برمّتها لا تفيد التوكيد وإن كانت تعطي معنى الثبوت والدوام، لكنها قد تفيد توكيد المفرد وهو تكرار المسند إليه ظاهراً وضميراً(١)، والله أعلم.

مما زاد في محسنات الخطبة: الاقتباس من النصوص القرآنية وإدراجها في الكلام من غير تفرقة بين الكلامين، كقوله: (**فأعزَّ اللهُ الدِّينَ بمحمد – صلى الله عليه وسلم–، وألَّف بين قلوبكم أيها المؤمنون، فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منه، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**). وقد عرَّفه البلاغيون بقولهم: "أما الاقتباس فهو أن يضمن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"(٢). وقال السيوطي: " الاقتباس تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بألا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا"(٣).

والآية القرآنية المقتبسة هي قوله تعالى: (**فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منه، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**) (٤).

ويحتاج الاقتباس إلى مهارة عالية من البليغ حتى لا يحدث هناك فجوة

(١) انظر عروس الأفراح: ٢٢٠/١.
(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٩١/١.
(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٢٩٦/١.
(٤) سورة آل عمران،

بين كلامه والنص القرآني، كما أنه يجب عليه أن يلتزم بشروط الاقتباس وهي أن لا يكون هناك سوء أدب ونحو ذلك[(١)].

ومما يعدّ من مقومات الخطابة هو إثارة الانتباه بأساليب فيها معان تلفت النظر، كما كان في بداية هذه الخطبة.

* * *

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢٩٧/١.

## ٨- ومن خطبه رضي الله عنه:

جاء في جمهرة العرب ما نصه:

وخطب أيضاً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (**أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال** (**إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين.**

**ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة؛ فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما تفعلون**) (١).

لم تُذكر المقدمة مفصلة، وإنما أُشير إليها بأن فيها حمد الله والثناء عليه. أمَّا موضوعها فهو عن صلاح النفس ومراقبة الله في السر والعلن.

**اشتمل موضوع هذه الخطبة على فقرتين:**

**الفقرة الأولى:** شملت بعض الوصايا المهمة، وهي أربعة: تقوى الله، والثناء عليه، ومراعاة الخوف والرجاء، والدعاء والابتهال، ولأهمية هذه الأمور

---

(١) جمهرة العرب: ١/٧٢- ٧٣.

قد أثنى الله سبحانه وتعالى على عباده الذين التزموا بها أمثال نبي الله زكريا على نبينا وعليه السلام، قال أبو بكر رضي الله عنه في ذلك: (**أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال** (**إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**).

وقد وجدَتْ هذه المعاني قبولاً في قلوب السامعين، وتأثيراً كبيراً في نفوسهم، وذلك عن طريق أساليب التأثير والإقناع التي كانت في هذه الخطبة، ومن أبرز ذلك ما أورده أبو بكر رضي الله عنه من دليل خطابي متمثل في قصة واقعية، من أروع القصص القرآني، هي قصة نبي الله زكريا عليه السلام وأهل بيته، وكيف كانوا يعيشون في جوّ إيماني صادق، يسارعون إلى الخيرات ويتسابقون في طاعة الله يرجون رحمته ويخافون عذابه، فلم يرجحوا كفة الرجاء على الخوف، ولا الخوف على الرجاء، وكذلك شأنهم في دعاء مولاهم بين الرغبة والرهبة، ناهيك عما يملأ صدورهم من الخشوع والتقوى، ولذلك أثنى عليهم سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

ومن الأساليب المقنعة والمؤثرة في هذا الموضوع: دقة اختيار ألفاظه، حيث كانت واضحة سهلة، لا غموض فيها ولا تعقيد، تلامس القلب مباشرة؛ لأن أغلب معانيها من أعمال القلوب، من هذه الألفاظ: (التقوى،

الرغبة، الرهبة).

ومن بلاغة الصديق -رضي الله عنه- في خطبته: إبراز هذه المعاني الجليلة في تعبيرات بلاغية زادت الفكرة وضوحاً وبياناً، ومن ذلك: الأساليب الخبرية المتمثلة في الجمل الفعلية: (**أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة**..)، والجمل الخبرية تفيد تجدّد هذه الأعمال ومعاهدتها، وكلما غفل عنها العبد عاد إليها، فعلى المرء محاسبة نفسه وتجديد توبته، وتعاهد صلاح نيته بين الفينة والأخرى.

وقد جاءت هذه الجمل ملائمة لمعانيها ومطابقة لمقتضى حالها، فلو أنها أُبدلت إلى جمل اسمية لأفادت الثبوت والدوام، وهذا أمر لا يمكن أن يستمرّ عليه الإنسان، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، فناسب أن تكون الجمل الفعلية في هذا المقام بدلاً من الجمل الاسمية.

ومما يزيد من القيمة البلاغية في في هذه الخطبة أيضاً: التصرف في الألوان البلاغية، حيث نجد في ثنايا هذه الجمل الخبرية نوعاً من الطباق، وهو طباق الإيجاب، الواقع بين كلمتَيْ: (**الرغبة، والرهبة**)، فالرغبة تبعث الشعور بالعكوف على الطاعة، والرهبة تبعث الشعور بالكف عن المعصية، وهذا يزيد في الفكرة المراد إيصالها للسامعين قوة وتأثيراً.

**والفقرة الثانية:** هي امتداد وتسلسل للفكرة السابقة، وذلك أنّ ثناء الله سبحانه وتعالى وشكره واجب على عباده؛ لأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة لا تعدّ ولا تحصى. ومن هذه النعم ما أعده سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين في يوم الآخرة من الجنات، وما أنزل عليهم في الدنيا من كتاب فيه الحق والرشاد، لن يضلوا أبداً إن تمسكوا به، وعملوا بمقتضاه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (**ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة؛ فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما تفعلون**).

هذا التسلل في أجزاء الموضوع والذي رأيناه في هذه الخطبة وغيرها – يعدّ من أهمّ مقومات الخطابة الناجحة في خطب أبي بكر رضي الله عنه، حتى لا يتشتت أذهان السامعين ويذهب بنشاطهم.

ومما ساعد أيضاً في شد انتباه الحضور وإقناعهم: استخدام أسلوب الانتقال من فكرة إلى فكرة، وكان ذلك بأداة حرف العطف (**ثُمَّ**)، وأعقبها بأمر (**اعلموا**)، ثم مناداتهم وهم قريبون منه (**عباد الله**) مع حذف أداة النداء المشعرة بعدم الفصل بينه وبينهم، كل هذه الأساليب تهزّ في النفوس، وتؤثر فيها، وتثير الانتباه، وتدلّ على قوة الخطيب.

وكذلك من أساليب التأثير والإقناع المستخدمة في هذه الفقرة: ذكر ما كان يعرفه الناس ويعتقدونه من أمور دينهم، وهو أن متاع الدنيا قليل فانٍ، وأنّ الآخرة هي الباقية، وهو قوله: (**وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى**).

ومن الأساليب القوية في التأثير والإقتاع: اختيار الألفاظ التي تثير الخيال عن طريق اسم الإشارة، كقوله: (**وهذا كتاب الله فيكم....**)، لأنّ اسم الإشارة يحدث خيالاً في الذهن فيتصور السامع المعنى في صورة مشخصة فيتأثر بذلك تأثيراً عظيماً.

هذه المعاني عُرِضَت في أساليب خبرية، وكلها من الجمل الفعلية، ما عدا قوله (**وهذا كتاب الله فيكم....**) فهي جملة اسمية، والسر البلاغي وراء ذلك واضح، فالجملة الاسمية كما مر معنا أنها تفيد الدوام والاستمرار، وهذا يناسب المقام؛ إذ إنّ كتاب الله موجود فينا ليل نهار وصباح مساء، فهو موجود معنا. ناهيك عما فيه من العجائب التي لا تنقضي، والأنزار التي لا تنطفئ!! فإذا كان الأمر كذلك فليسعد به المؤمن، ولذاك جاءت هذه المعاني في عبارات الصديق –رضي الله عنه– متآلفة متآخية في نظمها، كالدر المنظوم، قال –رضي الله عنه–: (**وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ نوره، فثقوا بقوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة**).

وكانت خاتمة الخطبة قوية التأثير؛ لأنه اختار لها أنصع الألفاظ، وأوجز التراكيب، فقال: (**فإنه خلقكم لعبادته، ووكل بكم الكرام الكاتبين، يعلمون ما تفعلون**). مستخدماً أداة التوكيد (إنَّ) التي تدلّ على أهمية العبادة، حيث نزّل غير المنكر منزلة المنكر، فناسبه التوكيد؛ لأنّ المسلم لا ينكر أن ربَّه سبحانه وتعالى خلقه لعبادته، لكن لَمّا كان الغالب من الناس أنهم يغفلون عن ذلك نُزِّلوا منْزلة المنكر. وجاءت الجملة الأخيرة في الخطبة لتضفي عليها شيئاً من الحسن، وهو اقتباس من كتاب الله، (كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون). ولفظ (تفعلون) يدلّ على أهمية العبادة والطاعة الحسية والمعنوية التي هي الغرض الأساس من هذه الخطبة، فكان هذا من التناسب الجميل لموضوع الخطبة.

* * *

٩- **خطبة له في الأنصار**(١):

جاء في جمهرة العرب: "وصل إليه مال من البحرين، فساوى بين الناس، فغضبت الأنصار، وقالوا له فَضِّلنا، فقال أبو بكر صدقتم، إن أردتم أن أفضِّلكم صار ما عملتموه للدنيا، وإن صبرتم كان لله عزَّ وجل، فقالوا: والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا، فرقى أبو بكر المنبر، فحمد الله وصلى على النبي -صلى الله عليه وسلم-. ثم قال:

**(يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم: وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد. فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغنويُّ:**

**جزى الله عنا جعفراً حين ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت**

**أبوا أن يملونا، ولو أن أمنا ... تُلاقي الذي يلقون منا لملت**

**هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ... ظلال بيوت أدفأت وأظلت**

مناسبة هذه الخطبة كما يستشفّ من هذا النص هو: تنبيه الأنصار إلى ما خالجهم من سوء فهم لتصرفه -رضي الله عنه- في الأموال التي وصلت إليه من البحرين. وكأن التاريخ يعيد نفسه، ما أشبه الليلة بالبارحة!

(١)انظر جمهرة خطب العرب في عصورها العربية الزاهرة، ص: ١٨٦.

إن موقف الأنصار مع الخليفة أبي بكر رضي الله عنه- شبيه بموقف الأنصار مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غنائم غزوة حنين حين قسم في أهل مكة، والمهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئاً، فغضبت الأنصار، وجمعهم النبيّ -صلى الله عليه وسلم- وخطب فيهم، وقد وردت هذه القصة في صحيح مسلم: "**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّ الأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِى وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِى وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمُ اللَّهُ بِى». وَيَقُولُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ «أَلاَ تُجِيبُونِى». فَقَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. فَقَالَ: «أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا». لأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا. زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لاَ يَحْفَظُهَا فَقَالَ: «أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالإِبِلِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمُ الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ وَلَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِىَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِى أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِى عَلَى الْحَوْضِ».**"

وكان خطبة أبي بكر -رضي الله عنه- مع الأنصار وإن كانت موجزة جدّاً إلا أنها تحاكي الخطبة النبوية التي قيلت في مثل هذا الموقف، من حيث إنه ذكر ما يمكن أن يقوله الأنصار ممّا قاموا به من فضل وأيادٍ بيضاء، ولكن لم تقله؛ أدباً وتقديراً. فقال: (**يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا أويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم**)، ونظيره في خطبة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- "« **أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَذَا وَكَذَا وَكَانَ مِنَ الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا**». **لأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا**".

وكذلك اتّفقت الخطبتان على ذكر مآثر الأنصار وفضلهم ومناقبهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (**وإنّ لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طالَ به الأمدُ**... إلخ)، وما ورد في خطبة الرسول -صلى الله عليه وسلم- "**الأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ وَلَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ واديَ الأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ**".

وأوردت النص النبوي من أجل تشابه الموقف، وتشابه الموضوع، وتشابه الخطاب، ولا يعني هذا أني أوازن بين النصين، لأنّ بلاغة النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تساويها بلاغة من كلام غيره من البشر، فهو أفصح من نطق بالضاد. وإنما أردت أن أنوّه مدى تأثّر أبي بكر رضي الله عنه بفصاحة خليله محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. ولذلك كانت

هذه الخطبة المختصرة في أسمى آيات البلاغة، لما اشتملت عليه من أساليب رائعة تمثلت في (ذكر مفعول المشيئة) أعني إيثار أبي بكر رضي الله عنه في ذكر المفعول به الذي يتعلق بفعل المشيئة، وقبل ذلك استهلال موضوع خطابه بالنداء، واختياره للفظة (معشر الأنصار)، وكلّ هذه في محيط الفقرة الأولى وهي بيان ما يمكن أن تقوله الأنصار من فضائلها على المهاجرين ومنهم أبو بكر رضي الله عنه. قال: (**يا معشر الأنصار: إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم**).

واستخدام أداة النداء في بداية الفقرة كان لها تأثير كبير، إذْ ناسب المقام، كما في هذه الخطبة، لأنه يريد أناساً مخصوصين وهم الأنصار، ليلفت انتباههم، وليصححوا مفهومهم الذي جانب الصواب، ثم اختار لهم أجمل الألفاظ وأرقاها ليناديهم بها، فقال: (**معشر الأنصار**)، ولم يقل (**يا أيها الأنصار**)، لحسن أدبه معهم، ولكي يثبت أنهم من أهل الفضل والمكانة المرموقة في أوساط المسلمين، وهذا هو الأسلوب نفسه الذي ورد في الحديث النبوي الشّريف.

بعد هذا النداء أورد الصديق -رضي الله عنه- جملة في غاية التأثير بأسلوب بلاغي رصين هو قوله: (**إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم**)، وقد ذكر

علماء البيان أنّ فعل المشيئة ومتعلقاتها لها دلالة بلاغية رائعة، وذلك بحذف مفعول المشيئة، ولا يذكر، كقوله تعالى: ( **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى**)، فوجب أن يكون نص الخطبة هنا كذلك بأن يقال: (**إن شئتم قلتم كذا وكذا**)، فهذه هي الطريقة في مفعول المشيئة، ولكنه ترك هذه الطريقة وعدل إلى ذكر مفعول المشيئة؛ لأنه أليق في هذا الموضعِ، حيث إن لهم من الفضائل العظيمة التي تستحق الإشادة، ما يمكن أن يصرحوا به ولكنهم لم يذكروها، قال في المثل السائر: "فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الأحسن أن يذكر ولا يضمر"(١)، والنكتة البلاغية في ذكره ليتقرر هذه الفضائل العظيمة في نفس السامع ويأنس به.

ويؤكّد الصديق -رضي الله عنه- على فضائل الأنصار الكثيرة، في الفقرة التالية، فقال: (**وإن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد. فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغنويُّ**: الأبيات...).

وهذا منه -رضي الله عنه- اعتراف بالفضل لأهله، فالأنصار هم الأنصار، وقد جاء هذا المعنى في أسلوب التأكيد الذي يقتضيه المقام، فلمّا ذكر هذا الفضل الذي لا يحصى عدداً، فلربما توهم بعض السامعين أن في هذا شيء من مبالغة، فاستحسن البلاغيون التوكيد في مثل هذا المقام،

(١) ينظر: المثل السائر: ٩٣/٢.

وقالوا: "وإن كان المخاطب مترددا في الحكم طالبا له.... حسن تقويته الحكم بمؤكد ليزيل ذلك المؤكد تردده ويمكن فيه الحكم"(١).

ثم أضاف إلى هذا التوكيد صورة رائعة تعدّ من طرق الإقناع والتأثير، وهي من الصور البلاغية البيانية، التي ساقها من خلال أبيات الشاعر الغنوي، ففيه تشبيه حالة بحالة، بجامع إغداق الكرم المفرط من كرماء على أصحابهم فأسروهم بذلك، لأنه كما يقال: إذا أكرمت الكريم ملكته، فكانت حالة المهاجرين مع الأنصار مثل حالة الشاعر الغنوي وعشيرته مع جعفر الممدوح، الذي تحمَّلهم وصنع لهم من المعروف ما لم يمكن أن يحصل من أقرب الناس إليهم، وهكذا شأن الأنصار مع المهاجرين، قاسموا إخوانهم بيوتهم وأموالهم وأزواجهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. أَكْرِمْ بهم من قوم.

❁❁❁

(١) مختصر المعاني، للتفتازاني: ٢٩/١،.دار الفكر، الطبعة الاولى، ١٤١١هـ مع تصرف يسير.

# الفصل الثاني
# خطب الخليفة أبي بكر الصديق
# في الفتوحات والجهاد

عرض ودراسة وتحليل

# الفصل الثاني

# خطب الخليفة أبي بكر الصديق في الفتوحات والجهاد - عرض ودراسة وتحليل

## ١-خطبة أبي بكر في ندب الناس لفتح الشام:

خطب أبو بكر – رضي الله عنه – يندب الناس لفتح الشّام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله، وقال: (**ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي أن يحب أن يُخصَّ به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجّى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة**)[1].

مناسبة هذه الخطبة هو فتح الشام. وموضوعها: (الجهاد الذي هو التجارة الرابحة).

(١) انظر تاريخ الطبري، ج ٤، ص: ٣٠ .

هذه الخطبة افتتحت بحمد الله، والصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-. ولم يُذكر نصّ المقدمة، وإنما اقتصر على الإشارة إلى ذلك.

أما موضوع الخطبة فكان في ثلاث فقرات قصيرة، كلها مفتتحة بأداة (ألاَ) التي تفيد التنبيه وتحمل في طياتها قوة الإثارة؛ ليتناسب مع نوع هذه الخطبة، فهي خطبة من أجل الجهاد في سبيل الله.

فالفقرة الأولى: تنبيه وإرشاد على ما يجب أن يستشعره المجاهد، وهو الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، وإن كان الأمر كذلك فلابد من الاقتصار على ما يتطلبه موقف الجهاد، فقال -رضي الله عنه-: (**ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ**). جمل موجزة مترابطة فيما بينها، تحمل معاني عميقة، ذات تأثير قوي في نفوس المجاهدين، وكان هذا التأثير من خلال الأسلوب الإنشائي المؤدَّى بأداة الشرط (مَنْ)، كقوله: (**فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله**)، وجملة هذين الشرطين (بلغها) و(عمل لله) لو تحققت، تحقّق الجزاء، ولا شكّ أنّ هذا من الدوافع المثيرة لأنْ يقوم المجاهد بتحقيق هذه الأفعال لينال جزاءه الحسن الذي هو عناية ربِّه به، وكفايته عما يهمه في دينه ودنياه وآخرته.

ومن الأساليب الإنشائية أيضاً: اسم فعل الأمر ( **عليكم بالجد والقصد**)، وفيه حضّ على لزوم الصبر والعمل الجادّ، مع ملاحظة الاعتدال

والقصد في الأمور، فإن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وأتى بعده بجملة اسمية مؤكدة بإنّ؛ لأهمية القصد فقال: (**فإنّ القصد أبلغ**). فالإنسان من طبيعته إذا جدّ واجتهد وشعر بلذّة ما يعمل فإنه قد تأخذه نشوة ذلك إلى مجاوزة الحد، لذا جاء التنبيه على هذا الأمر بأسلوب التأكيد، مع اسمية الجملة؛ التي توحي بأن مداومة القصد واستمراره في جميع الأمور هو الأولى، ومن هنا كان أسلوبه مطابقاً لمقتضى الحال، فلو أتى بجملة فعلية بدلاً من الجملة الاسمية لأشعر أنّ القصد يكون في بعض الأحيان ثم يتجددّ، وهذا خلاف المراد.

وقد اختار الصديق رضي الله عنه لأداء معانيه ألفاظاً جزلة قوية تلائم موضوع الخطبة الذي هو العزة والمنعة، كلفظ (**بَلَغَها**) الدال على أن هناك معاناة حتى يصل المرء إلى نهاية المطلوب، وكذلك لفظ (**الجدّ**)، و(**القصد**). وهذه كلّها تدل على معان تتطلب صبراً عظيماً، وحنكة وحكمة.

وفي الفقرة الثانية يلحظ ثلاث جمل متناسقة: (**ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له**)، وجميعها بمثابة الدليل القطعي للأمور المتواترة. وأنّ حسن اختيار الأدلّة من وسائل التأثير القوية في الخطبة.

كما أن هذه الجمل الثلاث فيها تفخيم لما تضمنته من معانٍ، وهي

الإيمان، والاحتساب، والنية، فقال في شأن الإيمان: (**ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له**)، بمعنى أنه يجب على المجاهد أن يتصف بصفة الإيمان الكامل، لا مجرّد إيمان، وهذا المعنى مستوحىً من حديث: (**لا دين لمن لا أمانة له**)(١).

وقال في تفخيم شأن الاحتساب: (**ولا أجر لمن لا حِسْبَة له**)، أي: أنّ أجر كل عمل بالنظر إلى أجر الحسبة لا يعدّ شيئاً، فالحسبة أمرها عظيم، في جميع الأعمال، وبخاصة الجهاد، فيجب على المجاهد أن يجاهد محتسباً الأجر، لا يريد إلا مرضاة الله. وهذه الجملة (**لا أجر لمن لا حِسْبَة له**) مأخوذة من حديث ذكره البغوي(٢)؛ ويسمي هذا اقتباساً، والاقتباس يعدّ من المحسنات البديعية التي يحتفي بها البلاغيون؛ لما تكسوه من جمال على النصوص، وبخاصة إذا صادفت موقعها، كما في هذه الخطبة الحماسية التي تمتلئ بالإيمان.

وهكذا نجد أفكار الخطبة متسلسلة في فقراتها، تحثّ على الجهاد، وأن يكون جهاداً خالصاً لله، لا يُبتغى من ورائه حظ من حطام الدنيا، فإذا كان ذلك كذلك فنعما هو، إذ إنه هو التجارة الرابحة، وهي الكرامة في الدارين،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٤٧/٨، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل. الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

(٢)ينظر: شرح السنة للإمام البغوى: ٣٢٥/١٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

لأنه إمَّا النصر والعزّة وإمَّا الشهادة، وقد ثبت في القرآن الكريم عظيم الأجر والثواب للمجاهدين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: (**ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجّى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة**).

هذا النص هو الفقرة الأخيرة في هذه الخطبة، كان بعبارات مؤثرة، وهو الرغبة في نيل الشهادة، وحصول الأجر الذي لا مثيل له، وبجانب ذلك نجد أساليب الإقناع من إشارات إلى آيات القرآن الكريم التي تنصّ على أهمية الجهاد، وأنّه معاملة مع الله سبحانه وتعالى، وأنّها تجارة رابحة لهم، لا جزاء لهم إلا الجنة.

إضافة إلى الأساليب البلاغية التي تؤكد ذلك المعنى، وتلك الثمرات والنتائج التي تجنى من وراء القتال في سبيل الله، ومن هذه الأساليب: استخدام أدوات التوكيد في قوله: (**وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد**..)، للدلالة على ثبوت الأجر العظيم، وأنه لا ينبغي لأحد أن يتردد أو يتثاقل عن الجهاد. ولأهمية هذا العمل قُدِّم المسند وهو (**في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله**) على المسند إليه وهو (**كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به**) ثم أعقبتها جملة أخرى في معناها هي قوله: (**هي التجارة التي دل الله عليها**)، ولم يعطف بين الجملتين؛ لكمال

الاتصال بينهما، وهو ما يذكره البلاغيون في مواطن الفصل، والسر في ذلك تقرير أمر الجهاد في النفوس. وساق هذا المعنى في جملة اسمية مصدرة بضمير منفصل؛ ليفيد أنّ التجارة التي ذكرها سبحانه وتعالى في القرآن خاصة ومقصورة على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: (هل أدلكم على تجارة تنجيكم...) كما أنه يتضمن ذلك دوام التجارة ومواصلة الأرباح دون انقطاع، بخلاف التجارات الأخرى فإنها وإن ربحت في وقت فإنه قد لا يستمرّ ذلك. وفي قوله: (**التي دلّ الله عليها**) وصف كاشف للمسند إليه، فإنها هي التجارة التي يريدها الله، وهي التي لها ذلك الفضل العظيم، (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم...).

وبعد أن ذكر هذا الوصف الكاشف للمسند إليه؛ الذي هو الجهاد المعبَّر عنه بالتجارة؛ عطف عليه جملتين أخريين هما: (**ونجي بها من الخزي**)، و(**ألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة**)، وكلا الجملتين فعليتان، خبريتان في اللفظ والمعنى، مثل الجملة السابقة (**دلَّ الله عليها**)، فكان من موجبات الوصل بين الجمل، مع ملاحظة أن كلّ جملة لها مغزى غير الأخرى، وإثارة غير الإثارة، فهي التجارة التي أرشد الله إليها عباده، وهي التجارة التي نجى الله بها من الخزي والعار، وهي التجارة التي ألحق الله بها الكرامة في الدارين، عبارات قوية جزلة رائعة. كلّ واحدة منها لها في القلب النابض موقع عظيم. وبهذا نلاحظ أن نهاية هذه الخطبة كانت موفَّقة إلى

أقصى الحدود؛ لما فيها من هذه العبارات الموجزة المؤثرة، التي تركت في النفس صدىً لا يكاد ينقطع.

في هذه الخطبة حرص الخليفة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - على توجيه الناس لأمر الجهاد بكلمات محددة لخصها الجد والاجتهاد في هذا الأمر؛ لأنّ الجهاد هو التجارة الرابحة التي دلّ عليها ربنا سبحانه وتعالى وحض المؤمنين عليها في آيات كثيرة من آيات الجهاد.

كما أن هذا الموقف من أبي بكر مبني على الاحتياط لأمر الجهاد في سبيل الله تعالى حتى لا يشترك فيه طلاب الدنيا فيكونوا سبباً في فشل المجاهدين واختلال صفوفهم وهذا درس تربوي من أبي بكر استفاده من الدروس النبوية الغالية وذلك في تنقية الصف الإسلامي من الشوائب وتوحيد هدفه حتى يكون خالصاً لوجه تعالى، فيأمن بذلك من الانتكاسات الخطيرة التي تحدث بسبب تعدد الأهداف، ولقد حرص أبو بكر على هذا المبدأ السامي مع شدة احتياج الجيش الإسلامي آنذاك إلى الرجال مما يدل على قناعته التامة بأن العبرة بسموّ الهدف والإخلاص لا بكثرة العدد[1].

* * *

(١) أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، ص: ٣٤٢.

## ٢- خطبة له أخرى في ندب الناس لفتح الشام:

شرع أبو بكر الصديق في إمداد الجيوش الإسلامية ببلاد الشام، بالرجال، والسلاح، والخيول، وما يحتاجونه، ودعا هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وقال له: يا هاشم، إن سعادة جدك، ووفاء حظك أنك أصبحت ممن تستعين به الأمة جهاد عدوها من المشركين، ومما يثق الوالي بنصيحته ووفائه وعفافه وبأسه، وقد بعث إليّ المسلمون يستنصرون على عدوهم من الكفار، فسر إليهم تبعك، فإني نادب الناس معك، فأخرج حتى تقدم على أبي عبيدة أو يزيد، قال: لا، بل على أبي عبيدة، قال: فأقدم على أبي عبيدة . وقام أبو بكر –رضي الله عنه– في الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (**أما بعد فإن إخوانكم من المسلمين معافون، مدفوع عنهم، مصنوع لهم، وقد ألقى الله الرعب في قلوب عدوهم منهم، وقد اعتصموا بحصونهم، وأغلقوا أبوابها دونهم عليهم، وقد جاءتني رسلهم يخبرونني بهرب هرقل ملك الروم من بين أيديهم حتى نزل قرية من قرى الشام، فرأيت أن أمد إخوانكم المسلمين بجند منكم، يشدد الله بهم ظهورهم، ويكبت بهم عدوهم، ويلقى بهم الرعب في قلوبهم – رحمكم الله – مع هاشم بن أبي عتبة بن أبي وقاص، واحتسبوا في**

**ذلك الأجر والخير، فإنكم إن نصرتم فهو الفتح والغنيمة وإن تهلكوا فهي الشهادة والكرامة)**(١).

درج أبو بكر في تشييع الجيوش بالخطابة محرضاً على الجهاد، حتى ينتشر الدين الحنيف في أقطار الأرض، وهو لن ينتشر إلاّ بالقوّة التي تعز الحق وتعلي سلطانه، إنها معركة الإسلام، معركة النفوس المؤمنة التي وعدها الله أن ترث الأرض ومن عليها، ومازال أبو بكر يبرز هذه المعاني محاولاً أن يرتفع العرب في جهادهم عن ضعف المخلوق، ويصبحوا قوة من قوات الخالق .

وها هو يحث المؤمنين على الجهاد، داعياً إياهم إلى نصرة إخوانهم بعد أن أصبح النصر قريباً منهم بانهيار جيش العدو، وفقدانه لهيبته أمام جيوش المسلمين الفاتحة بهروب ملك الروم هرقل، فقد رأي بحكمته أن يمد جيش المسلمين بزيادة يشدد الله بهم ظهورهم، ويكمل نصرهم على عدوهم.

تتجلى من خلال هذه الخطبة حكمة خليفة رسول الله ﷺ وصواب رأيه . وقد أتت خطبه أكلها فتوافد الناس للجهاد واستطاعوا في فترة وجيزة أن يحقق انتصارات كثيرة للإسلام .

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

إن العبء الثقيل الذي ألقي على عاتق الصديق لتنوء بحمله الرجال فهي التجربة الإسلامية الأولى للمسلمين في الحكم بعد غياب رسول الله ﷺ، في الوقت الذي أخذت الفتنة ترفع رأسها. فالمنافقون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم شقوا عصا الطاعة وعادوا عن إسلامهم. ولكن إيمان الخليفة الشيخ كان أقوى من الفتنة وأهلها، حين استطاع بموقفه الحازم أن يعيد الأمور إلى نصابها . ولا يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل إنّ أبا بكر ﵁ أخذ يوجّه الجيوش إلى الجهاد والفتوح في سبيل الله. وهنا يتجلى جانب آخر من عبقرية الصديق –رضي الله عنه– حين يقف خطيباً يوجه قادته ويرشدهم، وينصح جنده ويعلمهم الخلق الإسلامي في ساحة الميدان، فيضع بذلك المبادئ العسكرية، ويسن التشريعات الحربية التي ظلت وستبقى منارة يستضيء بها المسلمون في حروبهم ومغازيهم[١].

* * *

(١) نايف معروف، الأدب في عصر النبوة وخلفاؤه الراشدون، ص: ٤٥ .

### ٣- **خطبته في فتح الشام**:

حدث أبو إسماعيل بن عبد الله البصري صاحب فتوح الشام قال: لما أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يجهز الجنود إلى الشام، دعا عمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه فقال:

(**إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم، فقد جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهدأكم إلى الإسلام، ونفى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تشركوا بالله، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره، فالعرب اليوم بنو أم وأب، وقد أردت أستنفرهم إلى جهاد الروم ليؤيد الله المسلمين، ويجعل كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر . فمن هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خيراً للأبرار، ومن عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا الذي رأيت فليس على امرؤ بمبلغ رأيه**) [1].

من هذه المشورة تبين أن منهج أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مواجهة الأمور الكبيرة حيث لم يكن يبتُّ فيها برأي حتى يجمع أهل الحل والعقد فيستشيرهم ثم يصدر بعد ذلك عن رأي ممحص مدروس، وهذه هي

(١)انظر جمهرة خطب العرب، ج١، ص: ١٩٠ .

سنة رسول الله ﷺ كما مر معنا في السيرة النبوية، وحينما نتأمل في تفاصيل هذه المحاورة نجد أن الصحابة رضي الله عنهم قد أجمعوا على موافقة أبي بكر في غزو الروم، وإنما تنوعت وجهات نظر بعضهم في كيفية هذا الغزو، فكان رأي عمر إرسال الجيوش تلو الجيوش حتى تتجمع في الشام فتكون قوة كبيرة تستطيع أن تصمد للأعداء، وكان رأي عبد الرحمن بن عوف أن يبدأ الغزو بقوات صغيرة تغير على أطراف الشام ثم تعود إلى المدينة، حتى إذا تمَّ إرهاب العدو وإضعافه تبعث الجيوش الكبيرة، وقد أخذ أبو بكر برأي عمر في هذا الأمر واستفاد من رأي عبد الرحمن بن عوف فيما يتعلق بطلب المدد بالجيوش من قبائل العرب وخاصة أهل اليمن[1].

❊❊❊

---

(١) أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، ص: ٣٧٥.

# الفصل الثالث

# خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق

# التي وصى فيها الجيوش عند الخروج للجهاد

عرض ودراسة وتحليل

# الفصل الثالث
# خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق
# التي وصى فيها الجيوش عند الخروج للجهاد
# عرض ودراسة وتحليل

## ١- وصيته لجيش أسامة بن زيد:

أوصى أبو بكر جيش أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى أُبْنَى(١)، فقال:

**(يا أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني:لا تخونوا، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً أو شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نحلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له. وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئا فاذكروا اسم اللّه عليها. وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم**

---

(١)موضع بقرب مئة بمشارق الشام قتل فيه والده زيد بن حارثة .

**وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم اللّه)** [١].

وقال لأسامة: (**اصنع ما أمرك به نبي اللّه صلى اللّه عليه وسلم. ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت أُبْنَى، لا تقصرن من شئ من أمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا تعجلن لما خلفت عن عهده)** [٢].

أوصى أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– جيشه بوصايا مهمة لمن أراد أن يقدم على غزوة فمن هذه الوصايا: عدم الغدر، والخيانة، والحقد، وألا يمثلوا بالناس وألا يقتلوا الأطفال والشيوخ والنساء ولا يقتلعوا الأشجار والثمار ولا يمسوا بهيمة الأنعام إلا لأجل الأكل.

ثم وضح لهم كيفية التعامل مع الأقوام الذين يجدونهم ويمرون بهم في طريقهم بأن يتركوا من فرغوا أنفسهم للعمل في الصوامع، وأن يذكروا اسم الله على الطعام الذي يُقدم إليهم من قبل الآخرين، وأن يقتلوا فئة معينة ميزها لهم بهؤلاء الذين يحلقون رؤوسهم ويضعون عليهم العصائب فإنهم الجيش على ما ألمح من كلامه رضي الله عنه، ثم سمح لهم بالمسير[٣].

---

(١) انظر جمهرة خطب العرب في عصورها العربية الزاهرة، ص: ١٨٧ .

(٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير ١٦٢/٢.

(٣) انظر المغني في تحليل النصوص، تأليف دكتورة / أمنة محمد محمد أحمد، مكتبة الرشد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧، ص: ١٥١ ـ ١٥٢.

ولم يقتصر أمر الخطابة في تهدئة ثائرة الناس، وإنما كان لابد من استعمالها في تنظيم شئون الدولة، فلما اطمأن أبو بكر إلى أن الأمر قد هدأ كان لابد أن ينظر فيما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ، فوجد أن جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد قد توقف عند الخندق في أطراف المدينة، فأمر أبو بكر بمن ينادي: ألا لا يبقين بالمدينة المنورة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف، وقد رفض أبو بكر إيقاف بعث أسامة، وقام في الناس خطيباً يحثهم على الجهاد وينهاهم عن الفرقة ولكنه أراد أن يشارك جيش أسامة في بعض المسير وبخاصة أنه كان أحد جنوده .

وهكذا أخذت الخطابة بأيدي المسلمين إلى الوحدة بعد أن هددتهم الفرقة، وبينت للناس طريقهم الذي يجب أن يسيروا فيه، وأوضحت للجيش والعامة كل واجباتهم، واستمر رضوان الله عليه يخطب في الناس كلما جدَّ جديد حتى لحق بربه ووسد في جدثه(١).

* * *

(١) الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة، ١٣٩ ـ ١٤٠.

## ٢- وصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة:

شيّع أبو بكر عمرو بن العاص والوليد بن عقبة عندما بعثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصيّة واحدة: (**اتق الله في السرِّ والعلانيّة، فإنّه مَنْ يتَّق الله يجعل له مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفِّر عنه سيئاته، ويُعظم له أجراً، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنك في سبيل الله، لا يسعك فيه الادّهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم، وعصمة أمركم فلا تلن، ولا تفتر**) [1].

ظهرتْ عنايةُ أبي بكر الصديق -رضي اللهُ عنه- في الاقتداء بالرّسول ﷺ في قيامه بتوصية الجيش عند توديعهم حيث كان رسول ﷺ يوصي الجيوش عند توديعهم، ولم يقف أبو بكر الصديق رضي الله في الاقتداء بالرسول ﷺ فيما قاله وفعله وحسب بل أمرهم بتقوى الله في السرّ والعلانيّة وعدم الغش والتفريط في دين الله.

* * *

(١) انظر جمهرة خطب العرب، ص: ١٨٨.

## ٣- **وصيته لخالد بن الوليد**:

ووصّى أبو بكر خالد بن الوليد فقال: (**سر على بركة، فإذا دخلت أرض العدو، فكن بعيداً من الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء، ولا تقاتل بمجروح، فإنه بعضه ليس منه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرة، وأقلل من الكلام، فإن مالك ما وُعى عنك، وأقبل من الناس علانيتهم، وكِلْهُم إلى الله في سريرتهم واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه**) [1].

الوصايا دائماً ما تكون موجزة إلى حد ما، وليس لها ضوابط مثل الخطبة نجد أن الخليفة أبا بكر الصديق في هذه الوصية يوصي خالداً أن يجعل لنفسه مقراً بعيدًا عن الحملة، لأنه إذا مات قائد الحملة فقد يصيبها الوهن والانكسار لموته، كما يوصيه أن يستفيد من الأدلاء لأنه يسير في أرض غريبة عليه، وألاّ يقاتل بمن جرح؛ لأنه لا يكون في كامل عافيته، واحترس من البيات؛ لأنه قد يغدر به ليلاً، ودع عنك كثرة الكلام؛ لأنّه كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، فيضيع المقصود ويغلب على السامع الإعجاب ببلاغة المتكلم إن بليغاً عن استيعاب ما يقول والاستفادة من مواعظه، وأقبل من الناس ظاهرهم فأنت غير مكلف ببواطنهم، ثم يستودعه الله.

---

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص: ٢٩ .

## ٤- **وصية أبي بكر رضي الله عنه ليزيد**:

مما قاله أبو بكر ليزيد: (**إني وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى اللّه فإنه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك، وإن أولى الناس باللّه أشدهم توليا له وأقرب الناس من اللّه أشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد فإياك وعبية الجاهلية فإن اللّه يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خيلك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك، واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عنك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن حرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط،**

**وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الأولى أطول من الأخيرة فإنهما أيسرهما لقربهما من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها ولا تسرع إليها ولا تخذلها مدفعا ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسدهم، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم. ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس. واجتنب الغلول فإنه يقر بالفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له)**[1].

هذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعا لولاة الأمر، فإنه يذكر فيها واجبات القائد نحو جنده، ونحو عدوه، ومنع تعرض القائد للمتدينين الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع احتراما لدينهم. من فوائد هذه الوصية:

• إنّ الولايات والمناصب ليست حقاً ثابتاً لأصحابها وإنما بقاؤهم فيها مرهون بالإحسان والنجاح في العمل، ومن واجب المسئول الأعلى أن يعزلهم إذا أساؤوا، وإن هذا الشعور يدفع صاحب العمل إلى مضاعفة الجهد في بذل الطاقة ليصل إلى مستوى أعلى من النجاح في العمل، أما إذا ضمن

(١)انظر الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢، ص: ٦٤ ـ ٦٥.

البقاء فإنه قد يميل إلى الكسل والاشتغال بمتاع الدنيا، فيخل بمسئوليته ويعرِّض من تحت ولايته إلى أنواع من الفساد والفوضى والنزاع .

• إنّ تقوى الله عز وجل هي أهم عوامل النجاح في العمل، لأن الله تعالى مطلع على ظاهر أعمال الناس وباطنهم، فإذا اتقوه في باطنهم فحريٌّ بهم أن يتقوه في ظاهرهم، وبذلك يتجنب الوالي كلَّ مظاهر الفساد والإفساد، التي تكون عادة من الاستجابة للعواطف الجامحة التي لا تلتزم بتقوى الله تعالى .

• التّحذير من التعصب للآباء والأجداد والأقوام، فإن التعصب لذلك قد يحمل الإنسان على الانحراف على الطريق المستقيم، إذا كان ما عليه الآباء والأجداد مخالفاً للإستقامة، إضافة إلى أنه يضعف من الانتماء للرابطة الإسلامية .

• الإيجاز في الموعظة فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، فيضيع المقصود ويغلب على السامع الإعجاب ببلاغة المتكلم إن كان بليغاً عن استيعاب ما يقول والاستفادة من مواعظه، وإن لم يكن بليغاً فإن الملل يأخذ السامع فلا يعني ما يقول المتكلم .

• إذا أصلح المسئول نفسه وتفقد عيوبه وجعل من نفسه نموذجاً صالحاً للقدوة الحسن فإن ذلك يكون سبباً في صلاح من هم تحت رعايته .

• الاهتمام بإقامة الصلاة كاملة مظهراً، ومخبراً، مظهراً من ناحية إكمال أقوالها وأفعالها، ومخبراً من ناحية الخشوع فيها وحضور القلب مع الله تعالى، فإن هذه الصلاة الكاملة يقام بها ذكر الله في الأرض، وتهذب السلوك، وتقوي القلوب، وتبعث على ارتياح النفوس، وتعتبر ملاذاً للمسلم عند الشدائد .

• إكرام رسل العدو إذا قدموا، مع الاحتراس منهم، وعدم تمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوع من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم ما يتحلى به المسلون من مكارم الأخلاق، ولكن لا يصل هذا الإكرام إلى حد إطلاعهم على بطانة أمور المسلمين، بل ينبغي إطلاعهم على قوة جيش المسلمين ليرهبوا بذلك أقوامهم .

• الاحتفاظ بالأسرار، وعدم التهاون بإفشائها، خاصة فيما يتعلق بأمور المسلمين العامة، فإنّ الحكيم يستطيع التصرف في الأمور وإن تغيرت وجوهها مادام سره حبيساً في ضميره، فإذا أفشاه اختلطت عليه الأمور ولم يستطع التحكم فيها.

• إتقان المشورة أهمّ من النّظر في نتائجها فإنّ المستشار وإن كان حصيف الرأي ثاقب الفكر فإنه لا يستطيع أن يفيد من استشاره حتى ينكشف له أمره بغاية الوضوح، فإذا أخفى المستشير بعض تفاصيل القضية فإنه يكون قد جنى على نفسه، حيث قد يتضرر بهذه المشورة .

• إنّ على القائد وكل مسئول أن يكون مخالطاً لمن ولي أمرهم على مختلف طبقاتهم ليكون دقيق الخبر بأمورهم، وفي هذا أكبر العون له على تصور مشكلاتهم والمبادرة بإيجاد الحلول لها، أما المسئول الذي يعيش في عزلة ولا يختلط إلا بأفراد من كبار رعيته، فإنه لا يصل إليه من المعلومات إلا من كان من طريق هؤلاء، وقد لا يكشفون له الأمور بكل تفصيلاتها، وقد يحللون له الأمور على غير وجهها الصحيح.

• الاهتمام بأمر حراسة المسلمين خاصة في مكامن الخطر، واختيار الحراس الأمناء من ذوي النباهة، وعدم وضع الثقة الكاملة فيهم، بل لابد من الرقابة عليهم حتى لا يؤتى المسلمون من قبلهم.

• أن يسلك المسئول في عقاب المخالف مسلكاً وسطاً، فلا يتهاون فيترك عقوبة المستحق، فإن ذلك يجرئه على مزيد من المخالفة، ويجرئ غيره على ارتكاب المخالفات، فتسود الفوضى وينفلت الأمر، ولا يشتد في العقوبة فينفر الرعية، ويدفعهم إلى التسخط والتحزب، بل تكون عقوبته بحكمة واتّزان وبعد النظر والتروي بحيث تؤدي غرضها التربوي بدون إثارة ضجة، ولا دفع إلى النقد والتسخط .

• أن يكون لدى المسئول يقظة وانتباه لكل ما يجري في حدود المسئولية المناطة به حتى يشعر أفراد الرعية بأن هناك اهتماماً بأمورهم فيزيد المحسن إحساناً ويقتصر المسيء عن الإساءة، ولكن بدون تجسس عليهم

فإن ذلك يعتبر فضيحة لهم، وقد يقطع ذلك خيط العلاقة الذي يربط المسئول بأفراد رعيته، ومن المودة والإعجاب والشكر على الجميل، وهذا الخيط مادام قائماً فإنه يمنع أصحاب الجنوح من ارتكاب المخالفات التي تفسد المجتمع وتحدث الفوضى، فإذا انقطع لم يَكُنْ هناك عاصمٌ مِنْ تقوى الله تعالى؛ فإنّ أهمّ الحواجز التي دون الانطلاق وراء الشهوات تكون قد تحطّمت، ويصعب بعد ذلك علاج الأمور؛ لأنها تحتاج إلى قوة رادعة وهذه لها سلبياتها المعروفة.

• أنْ يحرص المسئول على مجالسة أهل الصّدق والوفاء والعقول الراجحة، وإن سمع منهم ما يكره أحياناً من النّقد والتوجيه، فإنّ ذلك يعود عليه وعلى من استرعاه الله أمرهم بالنفع، وأن يجالس أصحاب الله لا أصحاب الأهداف الدنيويّة فإن هؤلاء وإن أنس بكلامهم وثنائهم فإنهم يحولون بينه وبين التّفكير في الأمور الجادّة، فلا يستفيق بعد ذلك إلا والنكبات قد حلّت به وبمن ولي أمورهم.

• أن يصدق القائد في لقاء الأعداء وأن لا يجبن، فإن جبنه يسري على جنده فيقع بذلك الفشل والهزيمة، وفي غير الحرب أن يكون المسئول شجاعاً في مواجهة المواقف، وأن لا يضعف فيسرى ضعفه على من هم تحت إدارته من العاملين، فيقل بذلك مستوى الأداء ويضعف الإنتاج.

• أن يتجنب القائد الغلول، وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها هذا في مجال الحرب، وفي مجالات السلم أن يتجنب المسئول أية استفادة دنيوية من عمله لا تحل له شرعاً، مثل أخذ الهدايا التي يقصد بدفعها الاستفادة من المسؤول في مجانبة الحق، فإن ذلك من الغلول، والغلول كما جاء في الوصية يقرب إلى الفقر، ويدفع النصر .

• ومن هذه الفوائد تبين له عظمة هذه الوصية التي أوصى بها أبو بكر رضي الله عنه أحد قواده، وهي تبين لنا أنه كان يعيش بفكره مع قضايا المسلمين وأنه لا يتصور ما قد يواجهه قواده فيحاول تزويدهم بما ينفعهم في تلافي الوقوع في المشكلات، وحلها إذا وقعت، وهذه الوصية وأمثالها تسجل إضافة جديدة لمواقف أبي بكر –رضي الله عنه –المتعددة الأنواع[1].

* * *

(١) أبو بكر الصديق شخصيته وعصره، ٣٨٢ ـ ٣٨٥، بتصرف .

## ٥-وصيته لعمر بن الخطاب:

ثم أحضر أبو بكر عمرَ -رضي الله عنهما- فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- وأوصاه بتقوى اللّه ثم قال:

**(يا عمر إن للّه حقا بالليل ولا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار ولا يقبله بالليل وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة. ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلا. ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم. وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً. ألم تر يا عمر إنما نزلت آية الرخاء مع الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء. ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على اللّه ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. ألم تر يا عمر إنما ذكر اللّه أهل النار بأسوأ أعمالهم. فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو ألا أكون منهم وإنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء**

**فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم، فإذا حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه )** (١).

إنّ عمر رضي الله عنه كان ناصحاً لأبي بكر رضي الله عنه، فقد أبصر الدنيا مقبلة تتهادى وفي قومه فاقة قديمة يعرفها، فإذا ما طلوا لها استشرفتهم شهواتها، فنكلت بهم واستبدت، وذاك ما حذرهم رسول الله ﷺ إياه، قال رسول الله ﷺ: فو الله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم . لقد أبصر أبو بكر الداء فأتى لهم رضي الله عنه بدواء ناجع . جبل شاهق، إذا ما رأته الدنيا أيست وولت عنهم مدبرة، إنه الرجل الذي قال فيه النبي ﷺ: (يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك) (٢). هكذا رأى الخليفة الراشد أبو بكر الصديق هو خير من يستخلفه على الناس من بعده . وقد خلا به في هذه الوصية يوصيه بالناس خيراً . ويذكره بالآخرة .

رضي الله عن الصديق فقد كان بالفعل خير الناس بعد محمد ﷺ واستخلف أحسن الناس بعده.

❀❀❀

---

(١) انظر صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص: ٢٦٤ ـ٢٦٥ .
(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم ٣٦٨٣.

# الخاتمة

## الخاتمة

وأخيراً .. أشكر الله على ما أنعم به عليّ من انجاز موضوع هذا البحث وهو (خطب أبو بكر الصديق دراسة وتحليل) ونقف في خاتمته على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

- إنّ سيرة الصديق مليئة بالدروس والعبر، فهو من أعظم شخصية في الإسلام بعد النبيّ ﷺ، فقد كان هذا الصحابيّ الجليل قد اتّصف بمكارم الأخلاق، والصفات الحميدة، منذ الجاهلية، فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط، أو شرب الخمر.
- كان الصديق –رضي الله عنه– عالماً بالأنساب وكانت له مزية حببته إلى قلوب العرب وهي إنه لم يكن يعيب الأنساب، ولا يذكر المثالب بخلاف غيره، فقد كان عالماً في الجاهلية بالأنساب، وعالماً في الجاهلية والإسلام؛ وقد كان أقرب الصحابة إلى رسول الله ﷺ .
- يعدّ أبو بكر – رضي الله عنه –كنزاً من الكنوز ادّخره الله تعالى لنبيه وكان من أحب قريش لقريش، فذلك الخُلُق السّمح؛ الَّذي وهبه الله إيَّاه جعله يؤثِّر في غيره من الناس.
- كانت حياة الصديق في المجتمع المدني مليئة بالدروس والعبر وتركت لنا نموذجاً حياً لفهم الإسلام وتطبيقه في دنيا الناس، وفد تميزت شخصيته الصديق بصفات عظيمة ومدحه رسول الله في أحاديث

كثيرة، وبين فضله وتقدمه على كثير من الصحابة رضوان الله عليهم.

- لما مات الرسول ﷺ اضطرب الناس، فثبتت الأمة بخطبة أبي بكر – رضي الله عنه– المؤثّرة والتي قال فيها (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ)، وظهر موقفه العظيم في سقيفة بني ساعدة حيث استطاع أن يقنع الأنصار بما رآه هو الحق من غير أن يعرض المسلمين للفتنة فأثنى على الأنصار ببيان فضلهم من الكتاب والسنة، والثناء.
- عاش الصديق بين المسلمين كخليفة لرسول الله، وأسهمت خطبه الوعظية في تعليم الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فكانت مواقفه تشع على من حوله من الرعية بالهدي والإيمان والأخلاق .
- يعتبر عهد الصديق بداية العهد الراشدي الذي تتجلى فيه أهميته بصلته بالعهد النبوي وقربه منه، فقد كانت خطبه امتداداً لخطب الرسول ﷺ مع المحافظة الكاملة والتامّـــة على جميع ما ثبت العهد النبوي، وتطبيقه بحذافيره وتنفيذه بنصه ومعناه، يدلّ لذلك قوله – رضي الله عنه–: وهذا يتجلّى حينما قال الصديق –رضي الله عنه– : (والله لو منعوني عقال بعير كانوا ...).

- اتبع أبو بكر في خطبه الرسول ﷺ، فقد كان لا يستخدم السّجع ويفتتح خطبه بحمد الله وتمجيده، والصلاة على رسوله ويوشيها بآيات من القرآن الكريم، وقد كان الصديق في الذروة من البلاغة ومن البيان والفصاحة.
- كان الخليفة الصديق في خطبه يمثل الحاكم المؤمن بعقيدته، الملتزم بأحكام دينه، فهو قويّ بإيمانه،حازم في رد الحقوق لأصحابها . لا يخاف في الحق لومة لائم.
- وصف عمر بن الخطاب خطب أبو بكر بأنها " قليلة في اللفظ وأكثر في المعنى".
- استعمل أبو بكر الصديق الخطابة في كافة مناحي الحياة، كما استعملها أيضاً في تنظيم شئون الدولة.
- أخذت خطابة أبي بكر الصديق بأيدي المسلمين إلى الوحدة بعد أن هددتهم الفرقة، وبينت للناس طريقهم الذي يجب أن يسيروا فيه، وأوضحت للجيش والعامة واجباتهم، واستمرّ رضوان الله عليه يخطب في الناس كلما جد جديد حتى لحق بربه.
- كان –رضي الله عنه– في خطبه مزاوجاً بين استعمال الجمل القصيرة، والتضاد والتقابل، واستعمال ( أفعل التفضيل ) مجردة من المفضل عليه، مما نراه في قوله (أكيس الكيس التقي وأحمق الحمق

الفجور). (وأقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه، وأضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق)، و(وإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني). وغيرها من النماذج.

- وقد استن أبو بكر أيضاً سنة الوصية للجيوش، وهو في وصاياه يصدر عن روح الإسلام السمحة وتعاليمه السامية في معاملة المسلمين لمن يغلبون عليهم .
- وقد وجدت أن خطب أبي بكر الصديق ووصاياه تميزت بصحة الألفاظ واستقامة الأساليب وبلاغتها، وقوة النطق، وصدق الحجة، وإلى ترتيب الأفكار وتنسيق الحجج، وبلوغ الهدف .

وبعد .. فإني لأرجو الله جلّ وعلا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه .. وأعتذر عن أي تقصير يشفع له قصور جهدي وطاقتي .

وأسأل الله حسن الهداية والتوفيق والسداد فهو وحده خير هادٍ وخير معين.

* * *

# الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

# فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تعليق: مصطفى البغا، ط٣/١٤١٦هـ، دار ابن كثير - دمشق.

٢- الأحاديث الواردة في فضائل الصحابة، جمع ودراسة د. سعود عيد عمير الصاعدي، الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، نايف معروف، دار النفائس، بيروت.

٤- أدب صدر الإسلام، تجلياته وبناؤه التشكيلي، للدكتور المجيد الإسداوي، مكتبة المتنبي، الدمام، السعودية.

٥- أسرار التركيب البلاغي، للدكتور سيِّد عبد الفتّاح حجاب، ط١/ ١٣٩٧هـ - المكتبة التوفيقية، مصر.

٦- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، للجرجاني، تحقيق: د. عبد القادر حسين، ١٤١٨هـ، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧- أفنان البيان: أ. د. الشحات أبو ستيت، ١٤١٧هـ.

٨- بحوث المطابقة لمقتضى الحال (زاد النقد الأدبي السليم) د. علي البدري، ط٢/١٤٠٤هـ، مطبعة السعادة، القاهرة.

٩- بدائع القصر في النظم العربي: د. إبراهيم علي حسن داود، مطبعة الأمانة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠- البداية والنهاية، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١١- أبـو بكـر الصـديق أول الخلفـاء الراشـدين، محمـد رضـا، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥، مؤسسة الريان.
١٢- أبـو بكـر الصـديق شخصـيته وعصـره، د. علـى محمـد الصـلابي، دار القبلتين الرياض، دار اليقين، المنصور.
١٣- البيان والتبين، للجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٤- تـاريخ الخلفـاء، جـلال الـدين السيوطي، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنان.
١٥- تـاريخ الخلفـاء، للإمـام جـلال الـدين السـيوطي، حققـه قاسـم الرفـاعي، محمد العثمان، دار الأرقم.
١٦- التعريفـات، للجرجـاني، وضـع حواشـيه وفهارسـه محمـد باسـل، الطبعـة الثانية (١٤٢٤هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٧- التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث العربي — بيروت.
١٨- تلخيص الخطابـة، تـأليف أبي الوليـد بـن رشـد، تحقيـق د. محمـد سـليم، الجمهوريـة العربيـة المتحـدة، المجلس الأعلى للشئون الإسـلامية، لجنـة إحيـاء التراث الإسلامي، القاهرة ١٣٨٧.
١٩- جمهـرة خطـب العـرب في عصـور العربيـة الزاهـرة، لأحمـد زكـي صـفوت، المكتبة العلمية بيروت، لبنان ط١/١٣٥٢هـ=١٩٢٣م.

٢٠- حسن التوسل، لشهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان، دار الحرية، بغداد، ١٤٠٠هـ.

٢١- الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة.

٢٢- الخطابة، تأليف الشيخ على محفوظ، الطبعة الرابعة، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٢٣- الخطابة وإعداد الخطيب، أ.د عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ)، دار الشروق.

٢٤- الخلفاء الراشدون من كتاب البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، رتبه وهذبه وخرج نصوصه وضبط أعلامه محمد صامل السلمي، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مدار الوطن للنشر ـ الرياض.

٢٥- الخلفاء الراشدون، عبد الوهاب النجار، المكتبة العصرية، بير وت.

٢٦- شرح أحاديث من صحيح البخاري، د. محمد أبو موسى ط١ / ١٤٢١هـ، مكتبة وهبة — القاهرة.

٢٧- شرح السنة للإمام البغوى،تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢٨- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب — بيروت.

٢٩- شروح التلخيص:. مجموعة خمسة كتب بلاغية، للقزويني، والتفتازاني، والمغربي، والسبكي، والدسوقي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٣٠- صفة الصفوة، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت.

٣١- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، دراسة وتحقيق عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت.

٣٢- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق / عبد القادر شاهين، ج١، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، لبنان.

٣٣- علم البيان في الدّراسات البلاغيّة، د. علي البدريّ، ط٢/١٤٠٤هـ - دار الكتاب الجامعيّ بمصر.

٣٤- الفن ومذاهبه في النثر العربي، لشوقي ضيف، دار المعارف، ط١٥.

٣٥- القصر طرقه وأثره في التعبير الأدبي، د. محمودالقطان، ط١ / ١٩٨٥م، مكتبة الحلبي — المدينة المنورة.

٣٦- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٧- الكامل في اللغة والأدب، ابن المبرد، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٩٩١م.

٣٨- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه، للصفدي، تحقيق: د. هلال ناجي ووليد الحسن، ط ١/ ١٤٢٠ هـ - بريطانيا.

٣٩- كيف تصبح خطيباً ( الخطابة في موكب الدعوة ) الأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة، طبع دار الخير، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ)، بيروت.

٤٠- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الفكر.

٤١- المثل السائر، قدم له وحققه: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، ط١٤٠٣/٢هـ، دار الرفاعي للنشر – الرياض.

٤٢- مختصر المعاني، للتفتازاني، دار الفكر، الطبعة الاولى، ١٤١١هـ.

٤٣- مدخل إلى علم البيان: د. سلامة جمعة، بحث منشور في مجلّة كلّيّة اللّغة العربيّة بإيتاي البارود، العدد الـ ١٧-١٤٢١هـ.

٤٤- معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، ط١٤٠٨/٣هـ - دار المنارة بجدة، ودار الرفاعي بالرياض.

٤٥- معجم تهذيب اللغة، للأزهري، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٤٦- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم – الموصل. الطبعة الثانية، ١٤٠٤ – ١٩٨٣.

٤٧- المغني في تحليل النصوص، تأليف دكتورة / آمنة محمد محمد أحمد، مكتبة الرشد، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧، ص: ١٥١ - ١٥٢.

٤٨- المفصل في علم اللغة، للزمخشري، قدم له وعلق عليه: محمد السعيدي، ط١/١٤٠٥هـ، دار إحياء العلوم – بيروت.

٤٩- نداء الله نبيَّه الكريم في آي الذكر الحكيم د. بدر ناصر البدر، بحث ضمن مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة عن إدارة البحوث العلمية والإفتاء. الرياض، العدد: ٦١، ١٤٢١هـ.

٥٠- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي، تحقيق ودراسة: بكري شيخ أمين، ط١/١٩٨٥م، دار العلم للملايين – بيروت.

* * *

# فهرس الموضوعات